

رياض التائبين

صلاح عامر قمصان



رياض التائبين بقلم صلاح عامر



رياض التائبين

مقدمة الكتاب

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ .

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢)}

[آل عمران: ١٠٢]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)} [النساء: ١].

: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)} [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد :

اعلم أن الإنسان إذا صدر منه فعل أو ترك ؛ فإنه يحصل أولاً في قلبه اعتقاد أنه نافع أو ضار ، ثم يتولد من اعتقاد كونه نافعاً ميل إلى التَّحْصِيل ، ومن اعتقاد كونه ضاراً ميل إلى التَّرك ، ثم تصير القُدرة مع ذلك الميل مُوجبة ، إمَّا للفعل ، أو للترك .



رياض التائبين

إِذَا ثَبَتَ ذَلِكَ ، فَالتَّوْبَةُ كَذَلِكَ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا اعْتَقَدَ أَنَّ فِعْلَ الْمُعْصِيَةِ يُوجِبُ
الصَّرَرَ الْعَظِيمَ ؛ تَرْتَّبَ عَلَى حُصُولِ هَذَا الْإِعْتِقَادِ نَفْرَةٌ عَنْهُ.

والتَّوْبَةُ: وَاجِبَةٌ عَلَى الْعَبْدِ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: { تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا } [التَّحْرِيمُ
٨:]

وَهِيَ مَقْبُولَةٌ قَطْعًا ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: { وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ } [الشُّورَى:
٢٥].^١

كتبه بحمد الله وتوفيقه

الباحث في القرآن والسنة

أخوكم في الله / صلاح عامر

^١ - "معالم أصول الدين" لفخر الدين الرازي (١/١٣٧) ط. دار الكتاب العربي - لبنان.



رياض التائبين

الفصل الأول

ما جاء في الأمر بالتوبة ووجوبها :

قال تعالى : {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١)}

[النور: ٣١]

يقول الإمام القرطبي في تفسيره ، قوله تعالى: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١)} قوله تعالى: {وَتُوبُوا} أمر ، ولا خلاف بين الأمة في وجوب التوبة، وأنها فرض متعين، وقد مضى الكلام فيها في "النساء" وغيرها فلا معنى لإعادة ذلك. والمعنى: وتوبوا إلى الله فإنكم لا تخلون من سهو وتقصير في أداء حقوق الله تعالى، فلا تتركوا التوبة في كل حال.

وقال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُم سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ } [التحریم: ٨]

وقال تعالى : { وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١) } [الحجرات: ١١].^٢

وَعَنِ الْأَعْرَابِ الْمُرَبِّيِّ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ، فَإِنِّي أَتُوبُ، فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةٌ، مَرَّةً".^٣

فأمر بالمبادرة بالتوبة قبل الموت، وكل ساعة تمر على ابن آدم فإنه يمكن أن تكون ساعة موته، بل كل نفس، كما قيل:

لا تأمن الموت في طرف ولا نفس ... ولو تمتعت بالحجاب والحرس
قال لقمان لابنه: يا بني، لا تؤخر التوبة، فإن الموت يأتي بغتة.

^٢ - تفسير القرطبي "

^٣ - مسلم ٤٢ - (٢٧٠٢)



رياض التائبين

وقال بعض الحكماء: لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عملٍ، ويؤخرُ التوبةَ لطول الأمل.

إلى الله تب قبل انقضاء من العمر ... أحيي ولا تأمن مفاجأة الأمر
ولا تستصمن عن دعائي فإنما ... دعوتك إشفافاً عليك من الوزر
فقد حذرتك الحادثات نزولها ... ونادتك إلا أن سمعك ذو وقر
تتوحد وتبكي للأحبة إن مصوا ... ونفسك لا تبكي وأنت على الإثر
قال بعض السلف: أصبحوا تائبين، وأمسوا تائبين، يشير إلى أن المؤمن لا
ينبغي أن يصبح ويُمسي إلا على توبة، فإنه لا يدري متى يفجأه الموت صباحاً
أو مساءً، فمن أصبح أو أمسى على غير توبة، فهو على خطرٍ، لأنه يُحشى
أن يلقي الله غير تائب، فيحشر في زمرة الظالمين، قال الله تعالى: {وَمَنْ لَمْ يَتُبْ
فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}.

تُب من خطاياك وابك خشية ... ما أثبت منها عليك في الكُتب
أيُّه حال تكون حال فتى ... صار إلى ربّه ولم يتب
تأخيرُ التوبة في حال الشباب قبيح، ففي حال المشيب أقبح وأقبح.
نعي لك ظلّ الشباب المشيب ... ونادتك باسم سواك الخطوب
فكن مستعداً لداعي الفنا ... فكل الذي هو آت قريب
ألسنا نرى شهوات النفوس ... تفنى وتبقى علينا الذنوب
يخاف على نفسه من يتوب ... فكيف يكن حال من لا يتوب

فإن نزل المرض بالبعد فتأخيره للتوبة حينئذ أقبح من كل قبيح، فإن المرض
نذير الموت، وينبغي لمن عاد مريضاً أن يذكره التوبة والاستغفار، فلا أحسن
من ختام العمل بالتوبة والاستغفار، فإن كان العمل سيئاً كان كفارة له، وإن
كان حسناً كان كالطابع عليه.



رياض التائبين

وفي حديث "سيد الاستغفار" المخرَج في "الصحيح" أَنَّ من قاله إذا أصبح وإذا أمسى، ثم مات من يومه أو ليلته، كان من أهل الجنة، وليكثر في مرضه من ذكر الله عز وجل، خصوصاً كلمة التوحيد، فإنه من كانت آخر كلامه دخل الجنة.^٤

... من العمل الصَّغيرة والكبيرة	أَلَا يَا غَافِلًا يُحْصَى عَلَيْهِ
... وَقَدْ أُنْسَتْهُ عَقَلُهُ مَصِيرَهُ	يُصَاحُ بِهِ وَيُنْذَرُ كُلَّ يَوْمٍ
... وَأَسْتَدْرَكَ الرَّحِيلَ أَخَ وَجِيرَهُ	تَلَهَّبَ لِلرَّحِيلِ فَقَدْ تَدَانَا
... كَأَنَّ لَمْ تَقْتَرِفْ فِيهَا صَغِيرَهُ	وَأَنْتَ رُحِي بِالِ فِي غُرُورٍ
... وَعَيْنُكَ بِالَّذِي تَأْتِي قَرِيرَهُ	وَكَمْ ذَنْبٍ أَتَيْتَ عَلَى بَصِيرَهُ
... إِنَّ عَلَيْكَ لَعَيْنُ الْبَصِيرَةِ	تُحَاذِرُ أَنْ تَرَكَ هُنَاكَ عَيْنٌ
... مُنَعْتَ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَخَيْرَهُ	وَكَمْ حَاوَلْتَ مِنْ أَمْرِ عَظِيمٍ
... لَكُنْتُ بِهِ نَكَالًا فِي الْعَشِيرَةِ	وَكَمْ مِنْ مُدْخَلٍ لَوْ مِتَّ فِيهِ
... وَرُحْتَ بِنِعْمَةٍ فِيهِ سَتِيرَهُ	وُقِيتَ السُّوءَ وَالْمَكْرُوهَ فِيهِ
... وَتُصْبِحُ لَيْسَ تَعْرِفُهَا كَبِيرَهُ	وَكَمْ مِنْ نِعْمَةٍ لِلَّهِ تُمْسِي

^٤ - روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي) جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد - الناشر: دار العاصمة - المملكة العربية السعودية - الطبعة: الأولى ١٤٢٢ - ٢٠٠١ م.



رياض التائبين

الفصل الثاني

ما جاء من الترغيب في أن تتوب مهما بلغت منا الذنوب :

قال تعالى : { يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّيسَ الَّذِي فِيكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ لِيُثَبِّتَ عَلَيْكُمُ الثَّوَابَ الَّذِي كُنتُمْ تُكَسِبُونَ } [النساء: ٢٦-٢٧] عَظِيمًا (٢٧) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا (٢٨) [النساء: ٢٦-٢٧]

وَعَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَسْطُرُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيُثَبِّتَ مُسِيءَ النَّهَارِ، وَيَسْطُرُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيُثَبِّتَ مُسِيءَ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ"

وعنه ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: " إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا - وَرُبَّمَا قَالَ أَذْنَبَ ذَنْبًا - فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ - وَرُبَّمَا قَالَ: أَصَبْتُ - فَاغْفِرْ لِي، فَقَالَ رَبُّهُ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا، أَوْ أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ - أَوْ أَصَبْتُ - آخَرَ، فَاغْفِرْهُ؟ فَقَالَ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا، وَرُبَّمَا قَالَ: أَصَابَ ذَنْبًا، قَالَ: قَالَ: رَبِّ أَصَبْتُ - أَوْ قَالَ أَذْنَبْتُ -

^٥ - مسلم ٣١ - (٢٧٥٩)، وأحمد (١٩٥٢٩).

^٦ - مسلم ١١ - (٢٧٤٩)، وأحمد (٨٠٨٢).



رياض التائبين

آخَرُ، فَاعْفِرْهُ لِي، فَقَالَ: أَعْلَمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ عَفَرْتُ
لِعَبْدِي ثَلَاثًا، فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ ^٧.

وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: "لَوْ أَنَّكُمْ لَمْ تَكُنْ لَكُمْ
ذُنُوبٌ، يَغْفِرُهَا اللَّهُ لَكُمْ، لَجَاءَ اللَّهُ بِقَوْمٍ لَهُمْ ذُنُوبٌ، يَغْفِرُهَا لَهُمْ ^٨".

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «لَوْ كَانَ
لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَا يَبْتَغِي ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ،
وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ ^٩».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "لَوْ أَخْطَأْتُمْ حَتَّى تَبْلُغَ خَطَايَاكُمْ السَّمَاءَ، ثُمَّ
تُبْنُمْ، لَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ^{١٠}".

قَالَ الطَّبْطَبِيُّ: لَيْسَ الْحَدِيثُ تَسْلِيَةً لِلْمُتَمَكِّينَ فِي الذُّنُوبِ كَمَا يَتَوَهَّمُهُ أَهْلُ الْغُرَّةِ بِاللَّهِ، فَإِنَّ
الْأَنْبِيَاءَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ - إِنَّمَا يُعْثُوا لِيَرْدَعُوا النَّاسَ عَنْ غِشْيَانِ الذُّنُوبِ،
بَلْ بَيَانٌ لِعَفْوِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَجَاوُزِهِ عَنِ الْمُذْنِبِينَ، لِيَرْعَبُوا فِي التَّوْبَةِ، وَالْمَعْنَى الْمُرَادُ مِنْ
الْحَدِيثِ هُوَ أَنَّ اللَّهَ كَمَا أَحَبَّ أَنْ يُعْطِيَ الْمُحْسِنِينَ، أَحَبَّ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنِ الْمُسِيئِينَ

^٧ - "فليعمل ما شاء": أي مادام على هذه الحالة يذنب ثم يستغفر الله، لعلمه بأن له ربًّا، يغفر
الذنب، ويأخذ به، ولذا فهو غير مصرًّا على الذنب.

البخاري (٧٥٠٧)، ومسلم (٢٩) - (٢٧٥٨)، وأحمد (٧٩٤٨)، وابن حبان (٦٢٢).

^٨ - مسلم (١٠) - (٢٧٤٨)، وأحمد (٢٣٥١٥)، والترمذي (٣٥٣٩).

^٩ - البخاري (٦٤٣٦)، ومسلم (١١٨) - (١٠٤٩)، وأحمد (٣٥٠١)، وابن حبان (٣٢٣١).

^{١٠} - حسن صحيح: رواه ابن ماجه (٤٢٤٨) وقال الألباني: حسن صحيح.



رياض التائبين

وَقَدْ دَلَّ عَلَى ذَلِكَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَسْمَائِهِ: الْغَفَّارُ ، الْحَلِيمُ ، التَّوَّابُ ، الْعَفُوُّ ، وَلَمْ يَكُنْ لِيَجْعَلَ الْعِبَادَ شَأْنًا وَاحِدًا كَالْمَلَائِكَةِ مَجْبُولِينَ عَلَى التَّزُّهُ مِنَ الذُّنُوبِ ، بَلْ يَخْلُقُ فِيهِمْ مَنْ يَكُونُ بِطَبْعِهِ مَيَّالًا إِلَى الْهَوَى ، مُتَلَبِّسًا بِمَا يَفْتَضِيهِ ، ثُمَّ يَكْفِيهِ التَّوَقِّيَّ عَنْهُ ، وَيُحَذِّرُهُ مِنْ مُدَانَاتِهِ ، وَيُعَرِّفُهُ التَّوْبَةَ بَعْدَ الْإِثْلَاءِ فَإِنْ وَفَّى فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ، وَإِنْ أَخْطَأَ الطَّرِيقَ ، فَالْتَّوْبَةُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَأَرَادَ النَّبِيُّ - ﷺ - بِهِ أَتَّكُمُ لَوْ كُنْتُمْ مَجْبُولِينَ عَلَى مَا جُبِلَتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ ، لَجَاءَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يَتَأَتَّى مِنْهُمْ الذَّنْبُ ، فَيَتَجَلَّى عَلَيْهِمْ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ عَلَى مُقْتَضَى الْحِكْمَةِ ، فَإِنَّ الْغَفَّارَ يَسْتَدْعِي مَغْفُورًا ، كَمَا أَنَّ الرَّزَّاقَ يَسْتَدْعِي مَرْزُوقًا.^{١١}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ".^{١٢}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَا لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالذَّجَالُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ".^{١٣}

^{١١} - "تحفة الأحوذى" (٦ / ٣١٧).

^{١٢} - مسلم ٤٣ - (٢٧٠٣)، وأحمد (٩٥٠٩)، وابن حبان (٦٢٩).

^{١٣} - مسلم ٢٤٩ - (١٥٨)، وأحمد (٩٧٥٢)، والترمذي (٣٠٧٢).



رياض التائبين

الفصل الثالث

حال النبي ﷺ مع الاستغفار والتوبة وبيان مواضعهما: (١٤)

قال تعالى: { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا } (٢١) [الأحزاب: ٢١]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، يَقُولُ: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ
وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً».^{١٥}

وَعَنِ الْأَعْرَابِيِّ ، قَالَ: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ تَوْبُوا إِلَى
اللَّهِ ، فَإِنِّي أَتُوبُ ، فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةً مَرَّةً " .^{١٦}

وفي رواية : " إِنَّهُ لَيُعَانُ عَلَى قَلْبِي ، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ، فِي الْيَوْمِ مِائَةً مَرَّةً " .^{١٧}

ومن اسمائه ﷺ نبي التوبة :

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ - رضي الله عنه - قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : -
يُسَمِّي لَنَا نَفْسَهُ أَسْمَاءً ، فَقَالَ: " أَنَا مُحَمَّدٌ ، وَأَحْمَدُ ، وَالْمُقَقِّي ، وَالْحَاشِرُ ،
وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ " .^{١٨}

^{١٤} - فليراجع كتابي: " دليل الأخيار إلى المغفرة والاستغفار " مواضع سؤال المغفرة .

^{١٥} - البخاري (٦٣٠٧) واللفظ له ، وأحمد (٧٧٩٣)، والترمذي (٣٢٥٩)، وابن ماجه (٣٨١٥)، وابن

حبان (٩٢٥) .

^{١٦} - مسلم ٤٢ - (٢٧٠٢) .

^{١٧} - مسلم ٤١ - (٢٧٠٢)، وأحمد (١٨٢٩١)، وأبو داود (١٥١٥)، وابن حبان (٩٣١) .

^{١٨} - مسلم ١٢٦ - (٢٣٥٥)، وأحمد (١٩٦٥١)



رياض التائبين

وَعَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: قَالَ حُذَيْفَةُ: بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي فِي طَرِيقِ الْمَدِينَةِ، قَالَ: إِذَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَمْشِي، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَالْحَاشِرُ، وَالْمُقَفِّي، وَنَبِيُّ الْمَلَأِجِ».^{١٩}

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: "وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي، وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذُنُوبِي، فَاعْفُ رَحْمَةً لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ،..."^{٢٠}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا قَفَلَ مِنْ عَزْوٍ أَوْ حَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ، يُكَبِّرُ عَلَى كُلِّ شَرْفٍ مِنَ الْأَرْضِ ثَلَاثَ تَكْبِيرَاتٍ، ثُمَّ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، آمِينَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ سَاجِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ، صَدَقَ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ».^{٢١}

^{١٩} - رواه أحمد (٢٣٤٤٥).

^{٢٠} - مسلم ٢٠١ - (٧٧١)، وأحمد (٧٢٩)، وأبو داود (٧٦٠)، والترمذي (٣٤٢١)، والنسائي (٨٩٧).

^{٢١} - البخاري (١٧٩٧)، ومسلم ٤٢٨ - (١٣٤٤)، وأحمد (٤٤٩٦)، وأبو داود (٢٧٧٠)،

والترمذي (٩٥٠)، وابن حبان (٢٧٠٧).



رياض التائبين

وَعَنْ زَادَانَ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ - قَالَ شُعْبَةُ أَوْ قَالَ: رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ - أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ فِي صَلَاةٍ وَهُوَ يَقُولُ: " رَبِّ اغْفِرْ لِي - قَالَ شُعْبَةُ: أَوْ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي - وَثُبْتُ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ ". مِائَةَ مَرَّةٍ ٢٢

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَثُبْتُ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ». ٢٣

وَعَنْ أَبِي بَرَزَةَ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ: لَمَّا كَانَ بِآخِرَةِ، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا جَلَسَ فِي الْمَجْلِسِ، فَأَرَادَ أَنْ يَقُومَ، قَالَ: " سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ. أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ ". فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ تَقُولُ الْآنَ كَلَامًا مَا كُنْتَ تَقُولُهُ فِيمَا حَلَا. قَالَ: " هَذَا كَفَّارَةٌ مَا يَكُونُ فِي الْمَجْلِسِ " ٢٤.

٢٢ - رواه أحمد (٢٣١٥٠)

٢٣ - صحيح : رواه أحمد (٤٧٢٦)، وأبو داود (١٥١٦)، والترمذي (٣٤٣٤)، وابن ماجه (٣٨١٤)، وابن حبان (٩٢٧) وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥٥٦)، و«صحيح أبي داود» (١٣٥٧).

٢٤ - صحيح : رواه الطبراني في " الكبير " (١٥٨٦)، والنسائي في " الكبير " (١٠١٨٥)، والحاكم في " المستدرک " (١٩٧٠) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني في " السلسلة

الصحيحة " (٨١)، وفي الباب رواه أحمد في " المسند " عن أبي برة الأسلمي (١٩٨١٢)، وأبو داود (٤٨٥٩)، ورواه أحمد (٢٤٤٨٦)، والنسائي في " سننه " (١٣٤٤) عن أم المؤمنين عائشة رضي الله

عنها، وكل هذه الروايات صحيحة ، صححها الألباني وشعيب الأرنؤوط.



رياض التائبين

ما جاء من إكثاره ﷺ في آخر حياته من التسييح والتحميد والاستغفار والتوبة :

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَكْثُرُ مِنْ قَوْلِ: "سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ" قَالَتْ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْكَ تُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ: "سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ؟" فَقَالَ ﷺ: "خَبَرَنِي رَبِّي أَنِّي سَأَرَى عَلَامَةً فِي أُمَّتِي، فَإِذَا رَأَيْتُهَا أَكْثَرْتُ مِنْ قَوْلِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، فَقَدْ رَأَيْتُهَا إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ { [النصر: ١]، فَتُخْ مَكَّةَ، {وَرَأَيْتِ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا } [النصر: ٣] .^{٢٥}

ما جاء من دعاء الملائكة لمن ينتظر الصلاة بأن يتوب الله عليه :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ تَزِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ، وَصَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ، بِضْعًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً، وَذَلِكَ أَنْ أَحَدَهُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ لَا يَنْهَرُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ، لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ، فَلَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رَفَعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، حَتَّى يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ كَانَ فِي الصَّلَاةِ مَا كَانَتْ الصَّلَاةُ هِيَ تَحْبِسُهُ، وَالْمَلَائِكَةُ يُصَلُّونَ عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ، يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ تُبْ عَلَيْهِ، مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ، مَا لَمْ يُجْدِثْ فِيهِ " .^{٢٦}

^{٢٥} - مسلم ٢٢٠ - (٤٨٤)، وأحمد (٢٥٥٠٨)، وابن حبان (٦٤١١).

^{٢٦} - البخاري (٤٧٧)، ومسلم ٢٧٢ - (٦٤٩) واللفظ له، وأحمد (٧٤٣٠)، وأبو داود (٧٩٩)، وابن

ماجة (٧٩٩)، وابن خزيمة (١٥٠٤).



رياض التائبين

الفصل الرابع
فضل التائبين

حب الله لعبده التائب وشدة فرحه بتوبته :

قال تعالى : { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ } (٢٢٢) [البقرة: ٢٢٢]
وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لَلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ
حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَأُفْلِتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا
طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيَسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيَسَ مِنْ
رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ
شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ " ٢٧

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لَلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ أَحَدِكُمْ، مِنْ
أَحَدِكُمْ بِضَالَّتِهِ، إِذَا وَجَدَهَا " ٢٨.

ارتباط الفلاح بالتوبة :

قال تعالى : { وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } (٣١) [النور: ٣١]
يقول الإمام السعدي - رحمه الله - في تفسيره : ولما أمر تعالى بهذه الأوامر
الحسنة، ووصى بالوصايا المستحسنة، وكان لا بد من وقوع تقصير من المؤمن
بذلك، أمر الله تعالى بالتوبة، فقال: { وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ } لأن

٢٧ - البخاري (٦٣٠٩)، ومسلم ٧ - (٢٧٤٧)، وأحمد (١٣٢٢٧)، وابن حبان (٦١٧)

٢٨ - مسلم ٢ - (٢٦٧٥)، وأحمد (١٠٤٩٨)، والترمذي (٣٥٣٨)، وابن ماجه (٤٢٤٧)، وابن

حبان (٦٢١)



رياض التائبين

المؤمن يدعو إيمانه إلى التوبة ثم علق على ذلك الفلاح، فقال: {لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ} فلا سبيل إلى الفلاح إلا بالتوبة، وهي الرجوع مما يكرهه الله، ظاهرًا وباطنًا، إلى: ما يحبه ظاهرًا وباطنًا، ودل هذا، أن كل مؤمن محتاج إلى التوبة، لأن الله خاطب المؤمنين جميعًا.

وفيه الحث على الإخلاص بالتوبة في قوله: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ} أي: لا لمقصد غير وجهه، من سلامة من آفات الدنيا، أو رياء وسمعة، أو نحو ذلك من المقاصد الفاسدة.

ما جاء من تكفير السيئات للتائبين والتائبات ودخول الجنات:

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [التحریم: ٨] وَلِهَذَا قَالَ الْعُلَمَاءُ: التَّوْبَةُ النَّصُوحُ هُوَ أَنْ يُفْلَعَ عَنِ الذَّنْبِ فِي الْحَاضِرِ وَيَنْدَمَ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْهُ فِي الْمَاضِي وَيَعَزِمَ عَلَى أَنْ لَا يَفْعَلَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، ثُمَّ إِنْ كَانَ الْحَقُّ لِأَدَمِيٍّ رَدَّهُ إِلَيْهِ بِطَرِيقِهِ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: {تَوْبَةً نَّصُوحًا}، النَّاصِحَةُ.^{٢٩}

وعن أبي ذر، قال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَعَلَيْهِ تَوْبٌ أَبْيَضُ، وَهُوَ نَائِمٌ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدْ اسْتَيْقَظَ، فَقَالَ: "مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ" قُلْتُ: وَإِنْ رَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ رَنَى وَإِنْ سَرَقَ» قُلْتُ: وَإِنْ رَنَى وَإِنْ سَرَقَ عَلَى قَالَ: «وَإِنْ رَنَى وَإِنْ سَرَقَ» قُلْتُ: وَإِنْ رَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ رَنَى وَإِنْ سَرَقَ عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ» وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ إِذَا حَدَّثَ يَهْدَا قَالَ: وَإِنْ رَغِمَ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ

^{٢٩} - البخاري (ج ٨ ص ٦٧).



رياض التائبين

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: هَذَا عِنْدَ الْمَوْتِ، أَوْ قَبْلَهُ إِذَا تَابَ وَنَدِمَ، وَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، غُفِرَ لَهُ
٣٠.

التائب الأسيف الصادق في توبته من يظلمهم الله في ظله يوم القيامة ويدخله الجنة :

لقوله تعالى : { وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (٤١) } [النازعات: ٤٠-٤١]

يقول الإمام ابن كثير -رحمه- أي: خَافَ الْقِيَامَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَخَافَ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِ، وَنَهَى نَفْسَهُ عَنْ هَوَاهَا، وَرَدَّهَا إِلَى طَاعَةِ مَوْلَاهَا {فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى} أي: مُنْقَلَبُهُ وَمَصِيرُهُ وَمَرْجَعُهُ ، إِلَى الْجَنَّةِ الْقَيِّمَاءِ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ: " سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّتَا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ " .^{٣١}

وسابعهم: رجل قلبه لين نقي، يرجو رحمة ربه ويخشى عذابه، حاسب نفسه في خلوته، وذكر ذنباً، فانفطر قلبه له، وخاف عقاب ربه، وندم على فعله، رجل ذكر نعم ربه عليه، وما وجب عليه من الشكر، وأحس في نفسه القصور أو التقصير، ففاضت عيناه بالدموع، يسأل الله الرحمة والمغفرة ويرجو القبول والإحسان.

^{٣٠} - البخاري (٥٨٢٧)، ومسلم ١٥٤ - (٩٤).

^{٣١} - البخاري (٦٦٠)، ومسلم ٩١ - (١٠٣١).



رياض التائبين

فما أيسر هذا المقابل الذي يجمي من نار الموقف وحره، وما أكرم رب العالمين، وما أعظم إحسانه.^{٣٢}

وفيه ارتباط مقام التوبة الصادقة بالخوف من الله وخشيته .

ما جاء في إثبات الخيرية للتوابين :

عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ، قَالَ: "كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ".^{٣٣}

وعَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: خَيْرُكُمْ كُلُّ مُفْتَنٍ تَوَّابٍ "، قِيلَ: فَإِنْ عَادَ؟ قَالَ: «يَسْتَغْفِرُ اللَّهُ وَيَتُوبُ» ، قِيلَ: فَإِنْ عَادَ؟، قَالَ: «يَسْتَغْفِرُ اللَّهُ وَيَتُوبُ» ، قِيلَ: حَتَّى مَتَى ؟ ، قَالَ: «حَتَّى يَكُونَ الشَّيْطَانُ هُوَ الْمَحْسُورَ»^{٣٤}

ما جاء في تبديل سيئات التائبين لحسنات :

قال تعالى : { وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٠) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (٧١) } [الفرقان: ٦٨ - ٧١].

^{٣٢} - "المنهل الحديث في شرح الحديث" المؤلف: الأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين - الناشر: دار المدار الإسلامي - الطبعة الأولى .

^{٣٣} - رواه أحمد في "المسند" (١٣٠٤٩)، والترمذي (٢٤٩٩)، وابن ماجه (٢٤٩٩).

^{٣٤} - "كتاب التوبة" لابن أبي الدنيا (١٧٧).



رياض التائبين

وَقَوْلُهُ: {فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} : فِي مَعْنَى قَوْلِهِ:
{يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ} قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُمْ بَدَّلُوا مَكَانَ عَمَلِ السَّيِّئَاتِ بِعَمَلِ الْحَسَنَاتِ. قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ
ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: {فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ} قَالَ: هُمْ الْمُؤْمِنُونَ، كَانُوا مِنْ
قَبْلِ إِيْمَانِهِمْ عَلَى السَّيِّئَاتِ، فَرَغِبَ اللَّهُ بِهِمْ عَنْ ذَلِكَ فَوَلَّاهُمْ إِلَى الْحَسَنَاتِ، فَأَبْدَلَهُمْ مَكَانَ
السَّيِّئَاتِ الْحَسَنَاتِ.

وَرَوَى مُجَاهِدٌ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ كَانَ يُنْشِدُ عِنْدَ هَذِهِ الْآيَةِ:

بَدَّلْ بَعْدَ حَرِّهِ خَرِيفًا ... وَبَعْدَ طُولِ النَّفْسِ الْوَجِيفًا

يَعْنِي: تَغَيَّرَتْ تِلْكَ الْأَحْوَالُ إِلَى غَيْرِهَا.

وَقَالَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ: هَذَا فِي الدُّنْيَا، يَكُونُ الرَّجُلُ عَلَى هَيْئَةٍ فَبِحَّةٍ، ثُمَّ يُبَدِّلُهُ اللَّهُ
بِهَا خَيْرًا.

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: أَبَدَلَهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ عِبَادَةَ اللَّهِ، وَأَبَدَلَهُمْ بِقِتَالِ الْمُسْلِمِينَ قِتَالًا مَعَ
الْمُسْلِمِينَ لِلْمُشْرِكِينَ، وَأَبَدَلَهُمْ بِنِكَاحِ الْمُشْرِكَاتِ نِكَاحَ الْمُؤْمِنَاتِ.

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: أَبَدَلَهُمُ اللَّهُ بِالْعَمَلِ السَّيِّئِ الْعَمَلَ الصَّالِحَ، وَأَبَدَلَهُمُ بِالشِّرْكِ
إِخْلَاصًا، وَأَبَدَلَهُمُ بِالْفُجُورِ إِحْصَانًا، وَبِالْكُفْرِ إِسْلَامًا.

وَهَذَا قَوْلُ أَبِي الْعَالِيَةِ، وَقَتَادَةَ، وَجَمَاعَةِ آخَرِينَ.

وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّ تِلْكَ السَّيِّئَاتِ الْمَاضِيَةَ تَنْقَلِبُ بِنَفْسِ التَّوْبَةِ النَّصُوحَ حَسَنَاتٍ، وَمَا

ذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُ كَلَّمَا تَذَكَّرَ مَا مَضَى نَدِمَ وَاسْتَرْجَعَ وَاسْتَغْفَرَ، فَيَنْقَلِبُ الذَّنْبُ طَاعَةً بِهِذَا
الِاعْتِبَارِ. فَيَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِنْ وَجَدَهُ مَكْتُوبًا عَلَيْهِ لَكِنَّهُ لَا يَضُرُّهُ وَيَنْقَلِبُ حَسَنَةً فِي صَحِيفَتِهِ،
كَأَنَّ تَبَتُّ السُّئَةِ بِذَلِكَ، وَصَحَّتْ بِهِ الْأَثَارُ الْمَرْوِيَّةُ عَنِ السَّلَفِ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى - وَهَذَا

سِيَاقُ الْحَدِيثِ - عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ
دُخُولًا الْجَنَّةَ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقَالُ: اغْرُضُوا
عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا، فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ، فَيَقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا
وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ وَهُوَ



رياض التائبين

مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ دُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ، فَيَقَالَ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً،
فَيَقُولُ: رَبِّ، قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هَا هُنَا " فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى
بَدَتْ نَوَاجِذُهُ.^{٣٥}

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ رَزِيَّ الْعَابِدِينَ: {يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ} قَالَ: فِي الْآخِرَةِ.
وَقَالَ مَكْحُولٌ: يَغْفِرُهَا لَهُمْ ، فَيَجْعَلُهَا حَسَنَاتٍ.^{٣٦}

والتائب من الذنوب إلى طاعة الله مهاجراً إلى الله :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ
الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ»

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُدَامَةَ السَّعْدِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ : " لَا
تَنْقَطِعُ الْهَجْرَةُ مَا دَامَ الْعَدُوُّ يُقَاتِلُ " ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ
بْنُ عَمْرٍو بْنُ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - : إِنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - قَالَ: " إِنَّ الْهَجْرَةَ خَصْلَتَانِ:
إِحْدَاهُمَا أَنْ تَهْجَرَ السَّيِّئَاتِ ، وَالْأُخْرَى أَنْ تُهَاجِرَ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَلَا تَنْقَطِعُ الْهَجْرَةُ مَا
تُقْبِلَتِ التَّوْبَةُ ، وَلَا تَزَالِ التَّوْبَةُ مَقْبُولَةً حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنَ الْمَغْرِبِ ، فَإِذَا طَلَعَتْ ،
طُبِعَ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ بِمَا فِيهِ ، وَكُفِيَ النَّاسُ الْعَمَلُ " .^{٣٧}

^{٣٥} - مسلم ٣١٤ - (١٩٠)، وأحمد (٢١٤٩٢)، والترمذي (٢٥٩٦)، وابن حبان (٧٣٧٥).

^{٣٦} - رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ مِثْلَهُ .

" تفسير القرآن العظيم " لابن كثير - رحمه الله -

^{٣٧} - حسن : رواه أحمد (١٦٧١) وحسنه شعيب الأرنؤوط ، وأبو داود (٢٤٧٩)، وحسنه الألباني في

الإرواء " (١٢٠٨) ، و " صحيح الجامع " (٧٤٦٩).



رياض التائبين

والتائب المستقيم على توبته من تحسن خاتمته بإذن الله :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ " إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْفُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْعَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكِتَابِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا " ^{٣٨}.

ارتباط التوبة بشكر نعم الله :

عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ طَلْقِ بْنِ حَبِيبٍ قَالَ: «إِنَّ حُقُوقَ اللَّهِ تَعَالَى أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَقُومَ بِهَا الْعِبَادُ، وَإِنَّ نِعْمَةَ اللَّهِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى، وَلَكِنْ أَصْبَحُوا تَائِبِينَ، وَأَمْسُوا تَائِبِينَ» ^{٣٩}.

التوبة والاستغفار بعد الذنب سبب لصلاح القلب :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةً سَوْدَاءَ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ، صُقِلَ قَلْبُهُ، ...» الحديث ^{٤٠}.

^{٣٨} - البخاري (٧٤٥٤)، ومسلم ١ - (٢٦٤٣).

^{٣٩} - " الزهد والرفائق " لابن المبارك (٣٠٢)

^{٤٠} - حسن :رواه أحمد في " المسند(٧٩٥٢)، وابن ماجه(٤٢٤٤)، وابن حبان (٤٢٤٤)، (٢٧٨٧).



رياض التائبين

وعن عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: «دَاوُوا الذُّنُوبَ بِالتَّوْبَةِ، وَلَرُبَّ تَائِبٍ دَعَتْهُ تَوْبَتُهُ إِلَى الْجَنَّةِ حَتَّى أَوْفَدَتْهُ عَلَيْهَا» ، وَقَالَ: «قَلْبُ الْمَرْءِ التَّائِبِ بِمَنْزِلَةِ الرُّجَاجَةِ يُؤَثِّرُ فِيهَا جَمِيعُ مَا أَصَابَهَا ، فَالْمَوْعِظَةُ إِلَى قُلُوبِهِمْ سَرِيعَةٌ ، وَهُمْ إِلَى الرَّقَةِ أَقْرَبُ»...^{٤١}.

وَعَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: جَزَاءُ التَّوَّابِينَ مَنْصُوبَةٌ بِالنَّدَامَةِ نُصِبَ أَعْيُنُهُمْ، لَا تَقَرُّ لِلتَّائِبِ بِالْذُّنُوبِ عَيْنٌ، كُلَّمَا ذَكَرَ مَا اجْتَرَحَ عَلَى نَفْسِهِ، وَكَانَ يَقُولُ: التَّائِبُ أَسْرَعَ دَمْعَةً، وَأَرْقَى قَلْبًا.^{٤٢}

وَقَالَ: قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «جَالِسُوا التَّوَّابِينَ، فَإِنَّهُمْ أَرْقَى شَيْءٍ أَفِيدَةً»^{٤٣}

ارتباط التوبة بالندم :

عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " يَا عَائِشَةُ إِنْ كُنْتُ أَلَمَمْتُ بِذَنْبٍ ، فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ ، فَإِنَّ التَّوْبَةَ مِنَ الذَّنْبِ: النَّدَمُ وَالِاسْتِغْفَارُ " .^{٤٤}
وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْقِلٍ بْنِ مُقَرِّنٍ، قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ أَبِي عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: أَنْتِ سَمِعْتَ النَّبِيَّ ﷺ ، يَقُولُ: " النَّدَمُ تَوْبَةٌ؟ " قَالَ: نَعَمْ، وَقَالَ: مَرَّةً سَمِعْتُهُ يَقُولُ: " النَّدَمُ تَوْبَةٌ " .^{٤٥}

^{٤١} - " كتاب التوبة " لابن أبي الدنيا (١٨٢).

^{٤٢} - " كتاب التوبة " لابن أبي الدنيا (١٨٥).

^{٤٣} - " كتاب التوبة " لابن أبي الدنيا (١٤٤).

^{٤٤} - رَوَاهُ أَحْمَدُ (٢٦٣٢٢)، وَانْظُرْ "صَحِيحُ الْجَامِعِ" (١٤٣٣)، وَ" الصَّحِيحَةُ " (١٢٠٨).

^{٤٥} -صَحِيحُ : رَوَاهُ أَحْمَدُ (٣٥٦٨) وَقَالَ شُعَيْبُ الْأَرْنَؤُوطُ : صَحِيحٌ ، وَهَذَا إِسْنَادٌ حَسَنٌ،

وَابْنُ حِبَّانَ (٦١٢)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الَرُوضِ النُّضِيرِ» (٦٤٢ وَ ١١٥٠).



رياض التائبين

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: " إِنَّ صَاحِبَ الشِّمَالِ لَيَرْفَعُ الْقَلَمَ سِتَّ سَاعَاتٍ عَنِ الْعَبْدِ الْمُسْلِمِ الْمُخْطِئِ أَوْ الْمُسِيءِ ، فَإِنْ نَدِمَ وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ مِنْهَا ، أَلْقَاهَا ، وَإِلَّا كُتِبَتْ وَاحِدَةً " .^{٤٦}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رضي الله عنه - قَالَ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ ، فَقَالَ بِهِ هَكَذَا . قَالَ أَبُو شِهَابٍ: بِيَدِهِ فَوْقَ أَنْفِهِ .^{٤٧}

وَعَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْبَةَ ، قَالَ: اهْتَمَّامُ الْعَبْدِ بِذَنْبِهِ دَاعٍ إِلَى تَرْكِهِ ، وَنَدَمُهُ عَلَيْهِ مِفْتَاحٌ لِتَوْبَتِهِ ، وَلَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَهْتَمُّ بِالدَّنْبِ يُصِيبُهُ ، حَتَّى يَكُونَ أَنْفَعَ لَهُ مِنْ بَعْضِ حَسَنَاتِهِ .^{٤٨}

وَعَنْ كَعْبٍ ، قَالَ: " إِنَّ الْعَبْدَ لَيُذِنُ الدَّنْبَ الصَّغِيرَ فَيَحْقِرُهُ ، وَلَا يَنْدُمُ عَلَيْهِ ، وَلَا يَسْتَغْفِرُ مِنْهُ ، فَيَعْظُمَ عِنْدَ اللَّهِ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الطَّوْدِ ، وَيَعْمَلُ الدَّنْبَ الْعَظِيمَ فَيَنْدُمُ عَلَيْهِ ، وَيَسْتَغْفِرُ مِنْهُ فَيَصْغُرَ عِنْدَ اللَّهِ ، حَتَّى يُغْفَرَ لَهُ " .^{٤٩}

وَعَنْ أَبِي خَلِيفَةَ ، أَنَّ الْحَسَنَ ، كَانَ مُحْتَفِئًا فِي دَارِهِ ، فَأَنْتَبَهَ أَبُو خَلِيفَةَ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَالْحَسَنُ يَبْكِي: فَقَالَ لَهُ: مَا أَبْكَاكَ ؟ قَالَ ذَنْبٌ لِي ذَكَرْتُهُ فَبَكَيتُ .^{٥٠}

^{٤٦} - حسن: رواه الطبراني في " المعجم الكبير " (٧٧٨٧، ٧٧٦٥)، و" مسند الشاميين " (٤٦٨)، وحسنه

الألباني في " صحيح الجامع " (٢٠٩٧)، و" الصحيحة " (١٢٠٩).

^{٤٧} - صحيح موقوف: البخاري (٦٣٠٨)، وأحمد (٣٦٢٩)، والترمذي (٢٤٩٧).

الشرح: أي أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَغْلِبُ عَلَيْهِ الْخَوْفُ ، لِثِقَةِ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْإِيمَانِ ، فَلَا يَأْمُرُ الْعُثُوبَةَ بِسَبِّهَا ، وَهَذَا شَأْنُ الْمُؤْمِنِ ، دَائِمُ الْخَوْفِ وَالْمُرَاقَبَةِ ، يَسْتَصْغِرُ عَمَلُهُ الصَّالِحَ ، وَيَخْشَى مِنْ صَغِيرِ عَمَلِهِ السَّيِّئِ .

" تحفة الأحوذى " (٦ / ٢٨٩).

^{٤٨} - "التوبة" لابن أبي الدنيا (١٨٦).

^{٤٩} - "التوبة" لابن أبي الدنيا (٢٠٧).

^{٥٠} - "كتاب التوبة" لابن أبي الدنيا (١٥٥).



رياض التائبين

وعن زُهَيْرِ السَّلُولِيِّ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنْ بَلْعَيْنٍ قَدْ لَهَجَ بِالْبُكَاءِ، فَكَانَ لَا يَكَادُ تَرَاهُ إِلَّا بَاكِيًا، قَالَ: فَسَأَلَهُ رَجُلٌ مِنْ إِخْوَانِهِ يَوْمًا، فَقَالَ: مِمَّ تَبْكِي رَحِمَكَ اللَّهُ هَذَا الْبُكَاءُ الطَّوِيلُ؟ وَقَالَ: فَبَكَى، ثُمَّ قَالَ:

بَكَيْتُ عَلَى الذُّنُوبِ لِعَظَمِ جُرْمِي ... وَحَقَّ لِكُلِّ مَنْ يَعْصِي الْبُكَاءُ
فَلَوْ كَانَ الْبُكَاءُ يَرُدُّ هَمِّي ... لَا سَعَدَتِ الدُّمُوعُ مَعًا دِمَاءُ
قَالَ: ثُمَّ بَكَى حَتَّى غَشِيَ عَلَيْهِ، فَقَامَ عَنْهُ الرَّجُلُ وَتَرَكَهُ.^{٥١}
وَقَالَ عَوْْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: «جَالِسُوا النَّوَائِبِ، فَإِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ إِلَى النَّادِمِ أَقْرَبُ»^{٥٢}

من أسباب قبول التوبة :

حسن الظن بالله بأن يتوب عليه مع القيام بشروطها :

لقوله تعالى : { أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٠٤) } [التوبة: ١٠٤]

ولقوله تعالى : { وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٢٥) } [الشورى: ٢٥]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: " قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي، وَاللَّهُ لِلَّهِ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِالْقَلَاةِ،

^{٥١} - " المصدر السابق " (١٥٦).

^{٥٢} - " كتاب التوبة " لابن أبي الدنيا (١٨٢).



رياض التائبين

وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِذَا أَقْبَلَ إِلَيَّ يَمْشِي، أَقْبَلْتُ إِلَيْهِ أَهْرُولُ^{٥٣}

وفي رواية: "أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، إِنْ ظَنَّ خَيْرًا فَلَهُ، وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ"^{٥٤}.

وقوله تعالى: "إِنْ ظَنَّ خَيْرًا فَلَهُ" أي: ظَنَّ الإِجَابَةَ عِنْدَ الدُّعَاءِ، وَظَنَّ الْقَبُولَ عِنْدَ التَّوْبَةِ، وَظَنَّ الْمَغْفِرَةَ عِنْدَ الْإِسْتِغْفَارِ، وَظَنَّ الْمَجَازَاةَ عِنْدَ فِعْلِ الْعِبَادَةِ بِشُرُوطِهَا، تَمَسُّكَ بِصَادِقٍ وَعَدِهِ، وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ "أَدْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ"، وَلِذَلِكَ يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي الْقِيَامِ بِمَا عَلَيْهِ، مُوقِنًا بِأَنَّ اللَّهَ يَقْبَلُهُ، وَيَغْفِرُ لَهُ، لِأَنَّهُ وَعَدَ بِذَلِكَ، وَهُوَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ.

وقوله تعالى: "وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ" أي: فَإِنْ عِثَرَ أَوْ ظَنَّ أَنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ تَوْبَتَهُ، وَأَنَّهَا لَا تَنْفَعُهُ، فَهَذَا هُوَ الْيَأْسُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَهُوَ مِنَ الْكِبَائِرِ، وَمَنْ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ، وَكَلَّ إِلَى مَا ظَنَّ.

وَأَمَّا ظَنُّ الْمَغْفِرَةِ مَعَ الْإِصْرَارِ، فَذَلِكَ مَحْضُ الْجَهْلِ وَالْغَرَّةِ، وَهُوَ يُجْرُ إِلَى مَذْهَبِ الْمُرْجئة.^{٥٥}

واعتراف العبد بذنبه :

عن عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك، قَالَتْ: فَبَيْنَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي، وَأَنَا أَبْكِي، إِذِ اسْتَأْذَنْتِ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَذِنْتُ لَهَا، فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي، فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَجَلَسَ وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مِنْ يَوْمٍ قِيلَ فِيَّ

^{٥٣} - البخاري (٧٤٠٥) من غير ذكر التوبة، ومسلم ١ - (٢٦٧٥)، وأحمد (١٠٩٠٩) وفيهما ذكر التوبة.

^{٥٤} - رواه أحمد (٩٠٧٦)، وابن حبان (٦٣٩) وانظر "الصحيحه" (١٦٦٣).

^{٥٥} - "فتح الباري" (ج ٢٠ / ص ٤٨١) للإمام ابن حجر - رحمه الله -.



رياض التائبين

مَا قِيلَ قَبْلَهَا، وَقَدْ مَكَثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي شَيْءٌ، قَالَتْ: فَتَشْهَدُ ثُمَّ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتَ بَرِيئَةً، فَسَيُبرِّئُكَ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتَ أَلَمَمْتَ بِذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ، ثُمَّ تَابَ، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ»،.... "الحديث".^{٥٦}

والشاهد من الحديث، قوله ﷺ: " فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ، ثُمَّ تَابَ، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ ».

ومن المعلوم لكل مسلم أن السيدة عائشة رضي الله عنها قد جاءت براءتها في كتاب الله تعالى ومن فوق سبع سموات ، والحديث مطولاً في " الصحيحين " بذلك ، وإنما قوله ﷺ ذلك لها هنا قبل نزول الوحي ببراءتها.

وَعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ: «سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، قَالَ: «وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِفًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِفٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»».^{٥٧}

وَعَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِابْنِ عُمَرَ كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، يَقُولُ: فِي النَّجْوَى؟ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: " يُذْنِي الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، حَتَّى يَصَعَ عَلَيْهِ كَتْفُهُ، فَيُفَرِّقُهُ بِذُنُوبِهِ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَعْرِفُ، قَالَ: فَإِنِّي قَدْ

^{٥٦} - البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٥٦) - (٢٧٧٠).

^{٥٧} - البخاري (٦٣٠٦)، وأحمد في "المسند" (١٧١١١)، والترمذي (٣٣٩٣)، والنسائي (٥٥٢٢)،

وابن حبان (٩٣٢).



رياض التائبين

سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي أَعْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى صَحِيفَةُ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكُفَّارُ
وَالْمُنَافِقُونَ، فَيُنَادَى بِهِمْ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ " ٥٨.

التوبة أمنية للمجرمين والظالمين في الآخرة :

عن مُحَمَّد بن كَعْبِ الْقُرْظِيِّ، قَالَ: اجْتَمَعَ نَقَرٌ مِنْ عُلَمَاءِ أَهْلِ الشَّامِ، وَعُلَمَاءِ أَهْلِ
الْحِجَازِ، فَكَلَّمَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَخُنْ نَسْمَعُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:
{وَأَنِّي لَهُمُ التَّنَافُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ} [سبأ: ٥٢] قَالَ: فَسَأَلَهُ وَخُنْ نَسْمَعُ، فَقَالَ عُمَرُ:
«سَأَلْتُ عَنِ التَّنَافُشِ، وَهِيَ التَّوْبَةُ، طَلَبُوهَا حِينَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهَا» ٥٩.
وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: طَلَبُوا الرَّجْعَةَ إِلَى الدُّنْيَا وَالتَّوْبَةَ مِمَّا هُمْ فِيهِ، وَلَيْسَ بِحِينَ رَجْعَةٍ وَلَا تَوْبَةٍ.
وَكَذَا قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرْظِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ. ٦٠
وَقَالَ السُّدِّيُّ: هِيَ التَّوْبَةُ، أَيْ طَلَبُوهَا وَقَدْ بَعُدَتْ، لِأَنَّهُ إِنَّمَا تُقْبَلُ التَّوْبَةُ فِي الدُّنْيَا. ٦١

٥٨ - البخاري (٤٦٨٥)، ومسلم ٥٢ - (٢٧٦٨).

٥٩ - "كتاب التوبة" لابن أبي الدنيا (١٤٥).

٦٠ - "تفسير القرآن العظيم" لابن كثير - رحمه الله - (٥٢٨/٦).

٦١ - "تفسير القرطبي" (٣١٦/١٤).



رياض التائبين

الفصل الخامس

ماهية التوبة وشروطها

والتوبة: من تاب يتوب أي رجع. وهي الرجوع من معصية الله إلى طاعته.
ويشترط لها خمسة شروط :

الشرط الأول: الإخلاص :

والإخلاص شرط في كل عبادة، والتوبة من العبادات، قال الله تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} [البينة: ٥] فمن تاب مراعاة للناس، أو تاب خوفاً من سلطان لا تعظيماً لله عز وجل فإن توبته غير مقبولة.

الشرط الثاني: الندم على ما حصل:

وهو انكسار الإنسان وخجله أمام الله عز وجل أن فعل مانهي عنه، أو ترك ما أوجب عليه.

فإن قال قائل: الندم انفعال في النفس، فكيف يسيطر الإنسان عليه؟
فالجواب: أنه يسيطر عليه إذا أشعر نفسه بأنه في خجل من الله عز وجل، وحياء من الله، ويقول: ليتني لم أفعل، وما أشبه ذلك.
وقال بعض أهل العلم: إن الندم ليس بشرط:
أولاً: لصعوبة معرفته.

والثاني: لأن الرجل إذا أقبل فإنه لم يقلع إلا وهونادم، وإلا لاستمر.
لكن أكثر أهل العلم -رحمهم الله- على أنه لا بد أن يكون في قلبه ندم.



رياض التائبين

الشرط الثالث: الإقلاع عن المعصية التي تاب منها:

فإن كانت المعصية ترك واجب يمكن تداركه وجب عليه أن يقوم بالواجب، كما لو أذنب الإنسان بمنع الزكاة، فإنه لا بد أن يؤدي الزكاة، أو كان فعل محرماً مثل أن يسرق من شخص مالا ثم يتوب، فلا بد أن يرد المال إلى صاحبه، وإلا لم تصح توبته.

فإن قال قائل: هذا رجل سرق مالا من شخص وتاب إلى الله، لكن المشكل كيف يؤدي هذا المال إلى صاحبه؟ يخشى إذا أدى المال إلى صاحبه أن يقع في مشاكل فيدعي مثلاً صاحب المال أن المال أكثر، أو يتهم هذا الرجل ويشيع أمره، أو ما أشبه ذلك، فماذا يصنع؟

نقول: لا بد أن يوصل المال إلى صاحبه بأي طريق، وإمكانه أن يرسل المال مع شخص لا يتهم بالسرقة ويعطيه صاحبه، ويقول: يا فلان هذان شخص أخذ منك أولاً والآن أوصله إليك، ويكون هذا الشخص محترماً أميناً بمعنى أنه لا يمكن لصاحب المال أن يقول: إما أن تعين لي من أعطاك إياه وإلا فأنت السارق، أما إذا كان يمكن فإنه مشكل.

مثال ذلك: أن يعطيه القاضي، أو يعطيه الأمير يقول: هذا مال لفلان أخذته منه، وأنا الآن تائب، فأدّه إليه. وفي هذه الحال يجب علمن أعطاه إياه أن يؤديه إنقاذاً للآخذ وردّاً لصاحب المال.

فإذا قال قائل: إن الذي أخذت منه المال قد مات، فماذا أصنع؟

الجواب: يعطيه الورثة، فإن لم يكن له ورثة أعطاه بيت المال.

فإذا قال: أنا لا أعرف الورثة، ولا أعرف عنوانهم؟

الجواب: يتصدق به عن هو له، والله عزّ وجل يعلم هذا ويوصله إلى صاحبه. فهذه

مراتب التوبة بالنسبة لمن أخذ مال شخص معصوم.

تأتي مسألة الغيبة: فالغيبية كيف يتخلص منها إذا تاب:

من العلماء من قال: لا بد أن يذهب إلى الشخص ويقول: إني اغتبتك فخلني، وفي هذا مشكلة.



رياض التائبين

ومنها من فصل وقال: إن علم بالغيبة ذهب إليه واستحلّه، وإن لم يعلم فلا حاجة أن يقول له شيئاً لأن هذا يفتح باب شرّ.

ومنها من قال: لا يُعلمه مطلقاً، كما جاء في الحديث: "كَفَّارَةُ مَنْ اعْتَبَتْهُ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُ" ^{٦٢} فيستغفر له ويكفي.

ولكن القول الوسط هو الوسط، وهو أن نقول: إن كان صاحبه قد علم بأنه اغتابه فلا بد أن يتحلل منه، لأنه حتى لو تاب سيبقى في قلب صاحبه شيء، وإن لم يعلم كفاه أن يستغفر له.

الشرط الرابع: العزم على أن لا يعود :

فلا بد من هذا، فإن تاب من هذا الذنب لكن من نيته أن يعود إليه متى سنحت له الفرصة فليس بتائب، ولكن لو عزم أن لا يعود، ثم سوّلت له نفسه فعاد فالتوبة الأولى لا تنتقض، لكن يجب أن يحدد توبة للفعل الثاني . ولهذا يجب أن نعرف الفرق بين أن نقول: من الشرط أن لا يعود، وأن نقول: من الشرط العزم على أن لا يعود.

الشرط الخامس : أن تكون التوبة وقت قبول التوبة:

فإن كانت في وقت لا تقبل فيه لم تنفعه، وذلك نوعان: نوع خاص، ونوع عام.

^{٦٢} - "مسند الحارث" برقم (١٠٨٠) ، بلفظ " عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ : " كفارة الاغتياب أن تسغفر لمن اغتبتة".



رياض التائبين

النوع الخاص: إذا حضر الإنسان أجله فإن التوبة لاتنفع، لقول الله تعالى: {وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كَفَارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً} [النساء: الآية ١٨] ولما غرق فرعون قال: {آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين} فقيل له: {الآن وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ} [يونس: ٩١] أي الآن تسلم، ومع ذلك لم ينفعه.

وأما العام: فهو طلوع الشمس من مغربها، فإن الشمس تشرق من المشرق وتغرب من المغرب، فإذا طلعت من المغرب آمن الناس كلهم، ولكن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً.

ولهذا قال النبي ﷺ: " لَا تَنْقَطِعُ الْهَجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ حَتَّى تَخْرُجَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا " ^{٦٣}.

فهذه هي شروط التوبة، وأكثر العلماء - رحمهم الله - يقولون: شروط التوبة ثلاثة: الندم، والإقلاع، والعزم على أن لا يعود. ولكن ما ذكرناه أوفى وأتم، ولا بد مما ذكرناه. ^{٦٤}

^{٦٣} - حسن : رواه أحمد (١٦٧١) وحسنه شعيب الأرناؤوط ، وأبو داود (٢٤٧٩)، وحسنه الألباني في "الإرواء" (١٢٠٨) ، و "صحيح الجامع" (٧٤٦٩).

^{٦٤} - " شرح الأربعين النووية" (٤٠١-٤٠٤) للعلامة العثيمين-رحمه الله- ط : دار الشريعة للنشر.



رياض التائبين

الفصل السادس

ما جاء من الترغيب في عمل الحسنات بعد السيئات :

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا أَصَابَ مِنْ امْرَأَةٍ قُبْلَةً، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَأُنْزِلَتْ عَلَيْهِ: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ، وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ، ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ} [هود: ١١٤] قَالَ الرَّجُلُ: أَلَيْ هَذِهِ؟ قَالَ: «لِمَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ أُمَّتِي».^{٦٥}

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ".^{٦٦}

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «إِنَّ مَثَلَ الَّذِي يَعْمَلُ السَّيِّئَاتِ، ثُمَّ يَعْمَلُ الْحَسَنَاتِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ كَانَتْ عَلَيْهِ دِرْعٌ صَيِّفَةٌ قَدْ خَنَقَتْهُ، ثُمَّ عَمِلَ حَسَنَةً، فَأَنْفَكَتْ حَلَقَةً، ثُمَّ عَمِلَ حَسَنَةً أُخْرَى، فَأَنْفَكَتْ حَلَقَةً أُخْرَى، حَتَّى يَخْرُجَ إِلَى الْأَرْضِ».^{٦٧}

وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنِ الْحَكَمِ الْفَزَارِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا، يَقُولُ: إِنِّي كُنْتُ رَجُلًا إِذَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا نَفَعَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِمَا شَاءَ أَنْ يَنْفَعَنِي بِهِ، وَإِذَا حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ اسْتَحْلَفْتُهُ فَإِذَا حَلَفَ لِي صَدَّقْتُهُ، وَإِنَّهُ حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ، وَصَدَقَ أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "مَا مِنْ رَجُلٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا، ثُمَّ يَقُومُ فَيَتَطَهَّرُ، ثُمَّ يُصَلِّي، ثُمَّ

^{٦٥} - البخاري (٤٦٨٧)، ومسلم ٣٩ - (٢٧٦٣).

^{٦٦} - حسن : رواه أحمد (٢١٩٨٨)، والترمذي (١٩٨٧) وحسنه الألباني وشعيب الأرناؤوط.

^{٦٧} - حسن : رواه أحمد في "المسند" (١٧٣٠٧)، والطبراني في "الكبير" (٧٨٤، ٧٨٣) وحسنه الألباني في "صحيح الجامع" (٢١٩٢).



رياض التائبين

يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، إِلَّا عَفَرَ اللَّهُ لَهُ"، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا
أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ} [آل عمران].^{٦٨}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ، أَنَّهُ كَانَ يَمَثُلُ:

وَأَنْتَ لِكُلِّ مَا تَهْوَى رَكُوبٌ	...	وَكَيْفَ تُحِبُّ أَنْ تُدْعَى حَكِيمًا
وَتَذَكَّرُ مَا عَمِلْتَ فَلَا تَتُوبُ. ^{٦٩}	...	وَتَضْحَكُ دَائِبًا ظَهْرًا لِبَطْنٍ

^{٦٨} - رواه أحمد (٢)، وأبو داود (١٥٢١)، والترمذي (٤٠٦)، وابن ماجه (١٣٩٥)، وابن حبان (٦٢٣).

^{٦٩} - "التوبة" لابن أبي الدنيا (٨)



رياض التائبين

الفصل السابع :

مغفرة الله تعالى للتائبين من الشرك وغيره من الذنوب :

قال تعالى : { وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَمًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٠) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (٧١) } [الفرقان: ٦٨ - ٧١].

وقال تعالى : { وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى (٨٢) } [طه: ٨٢].
وقال تعالى : { فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٩) } [المائدة: ٣٩].

وقال تعالى : { وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٢٥) } [الشورى: ٢٥].

وقال تعالى : { وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥٤) } [الأنعام: ٥٤].

وقال تعالى : { وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٥٣) } [الأعراف: ١٥٣].

وقال تعالى : { إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (١١) } [النمل: ١١].



رياض التائبين

ويدعو سبحانه وتعالى النصارى الذين غلوا في المسيح وأمه عليهما السلام ، أن يتوبوا إلى الله ويستغفرونه ، لقوله تعالى: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ أَنْصَارٌ (٧٢) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٤) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ بُيِّنَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٧٥) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٧٦) } [المائدة: ٧٢ - ٧٦].

يقول الإمام السعدي - رحمه الله - في تفسيره: يخبر تعالى عن كفر النصارى بقولهم: { إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ } بشبهة أنه خرج من أم بلا أب، وخالف المعهود من الخلقة الإلهية، والحال أنه عليه الصلاة والسلام قد كذبهم في هذه الدعوى، وقال لهم: { يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ } فأثبت لنفسه العبودية التامة، ولربه الربوبية الشاملة لكل مخلوق.

{ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ } أحدا من المخلوقين، لا عيسى ولا غيره. { فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَمَأْوَاهُ النَّارُ (٧٢) } وذلك لأنه سوى الخلق بالخالق، وصرف ما خلقه الله له - وهو العبادة الخالصة - لغير من هي له، فاستحق أن يخلد في النار. { وَمَا لِلظَّالِمِينَ أَنْصَارٌ } ينقذونهم من عذاب الله، أو يدفعون عنهم بعض ما نزل بهم. { لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ } وهذا من أقوال النصارى المنصورة عندهم، زعموا أن الله ثالث ثلاثة: الله، وعيسى، ومريم، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً. وهذا أكبر دليل على قلة عقول النصارى، كيف قبلوا هذه المقالة الشنعاء، والعقيدة القبيحة؟! كيف اشتبه عليهم الخالق بالمخلوقين؟! كيف خفي عليهم رب العالمين؟! قال تعالى -راداً عليهم وعلى أشباههم -: { وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ } متصف بكل صفة



رياض التائبين

كمال، منزّه عن كل نقص، منفرد بالخلق والتدبير، ما بالخلق من نعمة إلا منه. فكيف يجعل معه إله غيره؟ " تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً. ثم توعدهم بقوله: { وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } (٧٣) ثم دعاهم إلى التوبة عما صدر منهم، وبين أنه يقبل التوبة عن عباده فقال: { أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ } (٧٤)

أي: يرجعون إلى ما يحبه ويرضاه من الإقرار لله بالتوحيد، وبأن عيسى عبد الله ورسوله، عما كانوا يقولونه { وَيَسْتَغْفِرُونَهُ } عن ما صدر منهم: { وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } أي: يغفر ذنوب التائبين، ولو بلغت عنان السماء، ويرحمهم بقبول توبتهم، وتبديل سيئاتهم حسنات.

وصدر دعوتهم إلى التوبة بالعرض الذي هو غاية اللطف واللين في قوله: { أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ } ثم ذكر حقيقة المسيح وأمه، الذي هو الحق، فقال: { مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ } أي: هذا غايته ومنتهى أمره، أنه من عباد الله المرسلين، الذين ليس لهم من الأمر ولا من التشريع، إلا ما أرسلهم به الله، وهو من جنس الرسل قبله، لا مزية له عليهم تخرجه عن البشرية إلى مرتبة الربوبية. { وَأُمُّهُ } مريم { صِدِّيقَةٌ } أي: هذا أيضاً غايتها، أن كانت من الصديقين الذين هم أعلى الخلق رتبة بعد الأنبياء. والصديقية، هي العلم النافع المثمر لليقين، والعمل الصالح. وهذا دليل على أن مريم لم تكن نبيه، بل أعلى أحوالها الصديقية، وكفى بذلك فضلاً وشرفاً. وكذلك سائر النساء لم يكن منهن نبيه، لأن الله تعالى جعل النبوة في أكمل الصنفين، في الرجال كما قال تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ } [النحل: ٤٣] فإذا كان عيسى عليه السلام من جنس الأنبياء والرسل من قبله، وأمه صديقة، فلا شيء اتخذهما النصارى إلهين مع الله؟

وقوله: { كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ } دليل ظاهر على أنهما عبدان فقيران، محتاجان كما يحتاج بنو آدم إلى الطعام والشراب، فلو كانا إلهين لاستغنيا عن الطعام والشراب، ولم يحتاجا إلى شيء، فإن الإله هو الغني الحميد.



رياض التائبين

ولما بين تعالى البرهان قال: { انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ } الموضحة للحق، الكاشفة لليقين، ومع هذا لا تفيد فيهم شيئا، بل لا يزالون على إفكهم وكذبهم وافترائهم، وذلك ظلم وعناد منهم.

{ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } (٧٦)

أي: { قُلْ } لهم أيها الرسول: { أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ } من المخلوقين الفقراء المحتاجين، { مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا } وتدعون من انفرد بالضر والنفع والعطاء والمنع، { وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ } (لجميع الأصوات باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات.
 { الْعَلِيمُ } بالظواهر والبواطن، والغيب والشهادة، والأمور الماضية والمستقبلية، فالكامل تعالى الذي هذه أوصافه هو الذي يستحق أن يفرد بجميع أنواع العبادة، ويخلص له الدين.

ولحنه سبحانه وتعالى جميع الكافرين من كافة الملل الباطلة على التوبة، وأن يقبلها منهم، قال تعالى: { قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ } (٣٨) [الأفقال: ٣٨].^{٧٠}

وعن ابن شماس المهرري، قال: حَضَرْنَا عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَهُوَ فِي سِيَّاقَةِ الْمَوْتِ، يَبْكِي طَوِيلًا، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الْجِدَارِ، فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ: يَا أَبَتَاهُ، أَمَا بَشَرَك رَسُولُ اللَّهِ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بِكَذَا؟، أَمَا بَشَرَك رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِكَذَا؟ قَالَ: فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: إِنَّ أَفْضَلَ مَا نُعَدُّ شَهَادَةً أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ كُنْتُ عَلَى أَطْبَاقٍ ثَلَاثٍ، لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ بُغْضًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنِّي، وَلَا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ قَدْ اسْتَمَكَنْتُ مِنْهُ، فَتَقَتَّلْتُهُ، فَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَكُنْتُ مِنْ

^{٧٠} - "تفسير الكريم المنان" (٢٦٤-٢٦٥) ط. دار السلام. ط. مجلة البيان".



رياض التائبين

أَهْلِ النَّارِ، فَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ ، فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلَا بَايِعُكَ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ، قَالَ: فَقَبِضْتُ يَدِي، قَالَ: «مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟» قَالَ: قُلْتُ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ، قَالَ: «تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟» قُلْتُ: أَنْ يُغْفَرَ لِي، قَالَ: «أَمَّا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟» .. «الحديث»^{٧١}

الشاهد من الحديث ، قوله ﷺ : «أَمَّا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟». وقال تعالى : { وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (١٩١) فَإِنْ اتَّبَعُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٩٢) } [البقرة: ١٩١ - ١٩٢]. { وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ } يقول العلامة السعدي - رحمه الله -: هذا أمر بقتالهم، أينما وجدوا في كل وقت، وفي كل زمان قتال مدافعة، وقتال مهاجمة^{٧٢} ، ثم استثنى من هذا العموم قتالهم { عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ } وأنه لا يجوز إلا أن يبدأوا بالقتال، فإنهم يقاتلون جزاء لهم على اعتدائهم، وهذا مستمر في كل وقت، حتى ينتهوا عن كفرهم فيسلموا، فإن الله يتوب عليهم، ولو حصل منهم ما حصل من الكفر بالله والشرك في المسجد الحرام، وصد الرسول والمؤمنين عنه ، وهذا من رحمته وكرمه بعباده.

^{٧١} - مسلم ١٩٢ - (١٢١).

^{٧٢} - الكفار المحاربون



رياض التائبين وهاهم أصحاب الأخدود :

الذين كفروا وظلموا ، وحرقوا المؤمنين والمؤمنات ، وقذفوهم في النار ، وما كان للمؤمنين من ذنب ، إلا إنهم آمنوا بالله العزيز الحميد ، هؤلاء أصحاب الأخدود ، الذين فرقوا بين الوالدة وولدها ، وقذفوا ولدها أمام عينها في النار ، وجلسوا على حافة الأخدود يتلذذون بمشاهدة أهل الأيمان وهم يقذفون في النار ، ويستمتعون بذلك ، هؤلاء أصحاب الأخدود الذين اجتهدوا غاية الاجتهاد لصرف الناس عن دينهم ، مع كل هذه الجرائم البشعة ، التي صدرت منهم يفتح الله لهم باب التوبة ، لكي يتوبوا ، وقال تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١٠) } [البروج: ١٠].

وكذا قبوله سبحانه لتوبة أهل النفاق ، قال تعالى : { إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٥) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (١٤٦) } [النساء: ١٤٤-١٤٧].

ويقبل الله توبة علماء السوء من بعد أن يبينوا للناس ما أضلّوهم به :

من بعد أن يتوبوا ويصلحوا ، ويبينوا للناس ما أضلّوهم به من تحليلهم للحرام ، وتحريمهم لما أحل الله ، إرضاءً لساداتهم ورؤسائهم ، أو لمذاهبهم البدعية ، مثل الشيعة ، والصوفية ، والبهائية ، والقاديانية ، وغير ذلك ، قال تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٦٠) } [البقرة: ١٥٩ - ١٦٠].



رياض التائبين وهام قطاع الطريق :

تفتح أمامهم باب التوبة ، لكي يتوبوا ويرجعوا عن غيهم وفسادهم ، ويقطعوا عن الناس شرهم ، قال تعالى: { إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٤) } [المائدة: ٣٣ - ٣٤].

وهام الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات :

تفتح لهم أبواب التوبة والإنابة إلى ربهم ومولاهم ، كي يتوبوا ، ويقبلوا على عمل الصالحات وإقامة الصلاة ، وترك الشهوات ، قال تعالى: { فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا (٥٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا (٦٠) } [مريم: ٥٩ - ٦٣].

وهام الذين يرتكبون الكبائر البشعة :

من قذف المحصنات الغافلات المؤمنات بالزنا والفاحشة ، قال تعالى : { وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥) } [النور: ٤ - ٥].



رياض التائبين

ويقبل الله توبة من أسرف على نفسه حتى بلغ أربعين سنة ،

قال تعالى: { وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (١٥) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (١٦) } [الأحقاف: ١٥-١٦].^{٧٣}

^{٧٣} - استفدت هذا الباب من كتاب " فقه الاستغفار " لفضيلة الشيخ -مصطفى العدوي- طبعة دار

مكة-مصر.



رياض التائبين

الفصل الثامن

التوبة الصادقة سبيل المغفرة المحققة :

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فُذْلًا عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فُذْلًا عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةً نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضٍ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أَنَاَسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سُوءٍ، فَانْطَلِقْ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ،..." الحديث^{٧٤}

وهاهي قصة توبة ماعز والغامدية رضي الله عنهما :

عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بَرْيَدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: جَاءَ مَاعِزُ بْنُ مَالِكٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، طَهِّرْنِي، فَقَالَ: «وَيْحَاكَ، ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ وَتُبْ إِلَيْهِ»، قَالَ: فَارْجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، طَهِّرْنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَيْحَاكَ، ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ وَتُبْ إِلَيْهِ»، قَالَ: فَارْجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، طَهِّرْنِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى إِذَا كَانَتِ الرَّابِعَةُ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ: «فِيمَ أَطْهَرُكَ؟»

^{٧٤} - رواه البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٤٦٦) - (٢٧٦٦) واللفظ له ، وأحمد (١١٦٨٧)، وابن ماجه (٢٦٢٢)

(، وابن حبان (٦١١) .)



رياض التائبين

فَقَالَ: مِنَ الزَّيْنِ، فَسَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَبِهَ جُنُونٌ؟» فَأُخْبِرَ أَنَّهُ لَيْسَ بِمَجْنُونٍ، فَقَالَ: «أَشْرَبَ خَمْرًا؟» فَقَامَ رَجُلٌ فَاسْتَنَكَهَهُ، فَلَمْ يَجِدْ مِنْهُ رِيحَ خَمَرٍ، قَالَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَزَيْتَ؟» فَقَالَ: نَعَمْ، فَأَمَرَ بِهِ فَرَجِمَ، فَكَانَ النَّاسُ فِيهِ فِرْقَتَيْنِ، قَائِلٌ يَقُولُ: لَقَدْ هَلَكَ، لَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيبَتُهُ، وَقَائِلٌ يَقُولُ: مَا تَوْبَةُ أَفْضَلَ مِنْ تَوْبَةِ مَا عَزِرَ، أَنَّهُ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: اقْتُلْنِي بِالْحِجَارَةِ، قَالَ: فَلْيُثْبِتُوا بِذَلِكَ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً، ثُمَّ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُمْ جُلُوسٌ، فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ: «اسْتَغْفِرُوا لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ»، قَالَ: فَقَالُوا: عَفَرَ اللَّهُ لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ تَابَ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ أُمَّةٍ لَوَسِعَتْهُمْ»، قَالَ: ثُمَّ جَاءَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ عَامِدٍ مِنَ الْأَزْدِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، طَهَّرْنِي، فَقَالَ: «وَيَحْلِكُ ارْجِعِي فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ» فَقَالَتْ: أَرَاكَ تُرِيدُ أَنْ تُرَدِّدَنِي كَمَا رَدَدْتَ مَا عَزَرَ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟» قَالَتْ: إِنِّهَا حُبَلِي مِنَ الزَّيْنِ، فَقَالَ: «أَنْتِ؟» قَالَتْ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهَا: «حَتَّى تَصْعِي مَا فِي بَطْنِكَ»، قَالَ: فَكَفَلَهَا رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ حَتَّى وَضَعَتْ، قَالَ: فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «قَدْ وَضَعَتِ الْعَامِدِيَّةُ»، فَقَالَ: «إِذَا لَا تَرْجُحُهَا وَنَدَعُ وَلَدَهَا صَغِيرًا لَيْسَ لَهُ مَنْ يُرْضِعُهُ»، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: إِلَيَّ رِضَاعُهُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، قَالَ: فَرَجَمَهَا.^{٧٥}

وفي رواية: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَجَاءَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ عَامِدٍ فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ زَيْتُ، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ تُطَهِّرَنِي. فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: «ارْجِعِي». فَلَمَّا أَنْ كَانَ مِنَ الْعَدِ أَتَتْهُ أَيْضًا فَاعْتَرَفَتْ عِنْدَهُ بِالزَّيْنِ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ

^{٧٥} - مسلم ٢٢ - (١٦٩٥).



رياض التائبين

زَيْتٌ، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ تُطَهِّرَنِي. فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: «ارْجِعِي». فَلَمَّا أَنْ كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ أَيْضًا فَاعْتَرَفَتْ عِنْدَهُ بِالزَّيْنِ فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، طَهِّرْنِي فَلَعَلَّكَ أَنْ تَرُدُّدَنِي كَمَا رَدَدْتَ مَاعِزَ بْنِ مَالِكٍ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَحُبْلَى. فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: «ارْجِعِي حَتَّى تَلِدِي». فَلَمَّا وَلَدَتْ جَاءَتْ بِالصَّبِيِّ تَحْمِلُهُ فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، هَذَا قَدْ وَلَدْتُ. قَالَ: «فَادْهَبِي فَأَرْضِعِيهِ حَتَّى تَفْطِمِيهِ». فَلَمَّا فَطَمَتْهُ جَاءَتْ بِالصَّبِيِّ فِي يَدِهِ كِسْرَهُ خُبْزٍ قَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، هَذَا قَدْ فَطَمْتُهُ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِالصَّبِيِّ فَدَفَعَهُ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَمَرَ بِهَا فَحُفِرَ لَهَا حُفْرَةٌ فَجُعِلَتْ فِيهَا إِلَى صَدْرِهَا، ثُمَّ أَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَرْجُمُوهَا، فَأَقْبَلَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بِحَجَرٍ فَرَمَى رَأْسَهَا، فَفَضَحَ الدَّمُ عَلَى وَجْنَةِ خَالِدٍ فَسَبَّهَا، فَسَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ سَبَّهُ إِثَّامًا، فَقَالَ: «مَهْلًا يَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ لَا تَسَبَّهَا فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ لَغُفِرَ لَهُ» فَأَمَرَ بِهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا وَدُفِنَتْ.^{٧٦}

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ حُصَيْنٍ، أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ أَتَتْ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ وَهِيَ حُبْلَى مِنَ الزَّيْنِ، فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَصَبْتُ حَدًّا، فَأَقِمْنِي عَلَيَّ، فَدَعَا نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ وَلِيَهَا، فَقَالَ: «أَحْسِنُ إِلَيْهَا، فَإِذَا وَضَعْتَ فَاتْنِي بِهَا»، فَفَعَلَ، فَأَمَرَ بِهَا نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ، فَشُكَّتْ عَلَيْهَا ثِيَابُهَا، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَرَجِمَتْ، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهَا، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: تُصَلِّي عَلَيْهَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ! وَقَدْ زَنَتْ؟، فَقَالَ: «لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً، لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَوَسِعَتْهُمْ، وَهَلْ وَجَدْتَ تَوْبَةً أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنَفْسِهَا لِلَّهِ تَعَالَى؟».^{٧٧}

^{٧٦} - رواه أحمد (٢٢٩٤٩).^{٧٧} - مسلم ٢٤ - (١٦٩٦).

رياض التائبين

في الصدق بالتوبة وقوله عز وجل {وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا}:

عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: ثُمَّ غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَزْوَةَ تَبُوكَ، وَهُوَ يُرِيدُ الرُّومَ وَنَصَارَى الْعَرَبِ بِالشَّامِ، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: فَأَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ بْنُ مَالِكٍ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ كَعْبٍ كَانَ قَائِدَ كَعْبٍ، مِنْ بَنِيهِ، حِينَ عَمِيَ، قَالَ: سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ يُحَدِّثُ حَدِيثَهُ حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ: لَمْ أَتَخَلَّفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ غَزَاهَا قَطُّ، إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، غَيْرَ أَنِّي قَدْ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ وَلَمْ يُعَاتِبْ أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْهُ، إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ يُرِيدُونَ عِيرَ قُرَيْشٍ، حَتَّى جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ، عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ، وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ، حِينَ تَوَاقَفْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ، وَمَا أُحِبُّ أَنْ لِي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ، وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ أَذْكَرَ فِي النَّاسِ مِنْهَا، وَكَانَ مِنْ خَبْرِي، حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ، وَاللَّهُ مَا جَمَعْتُ قَبْلَهَا رَاحِلَتَيْنِ قَطُّ، حَتَّى جَمَعْتُهُمَا فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ، فَغَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا وَمَفَازًا، وَاسْتَقْبَلَ عَدُوًّا كَثِيرًا، فَجَلَا لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرُهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أَهْبَةَ غَزْوِهِمْ، فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ، وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَثِيرٌ، وَلَا يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ - يُرِيدُ بِذَلِكَ الدِّيَوَانَ - قَالَ كَعْبٌ: فَقُلَّ رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ، يَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ سَيُخْفِي لَهُ، مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَخِي مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَغَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تِلْكَ الْغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثَّمَارُ وَالظَّلَالُ، فَأَنَا إِلَيْهَا أَصْعَرُ، فَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، وَطَفِئْتُ أَغْدُو لِي أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ، فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، وَأَقُولُ فِي نَفْسِي: أَنَا قَادِرٌ



رياض التائبين

عَلَى ذَلِكَ، إِذَا أَرَدْتُ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ يَتِمَادَى بِي حَتَّى اسْتَمَرَّ بِالنَّاسِ الْجِدُّ،
فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَادِيًا وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جَهَازِي شَيْئًا، ثُمَّ
عَدَوْتُ فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ يَتِمَادَى بِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ
الْغَزْوُ، فَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ، فَيَا لَيْتَنِي فَعَلْتُ، ثُمَّ لَمْ يَقْدِرْ ذَلِكَ لِي،
فَطَفِئْتُ، إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ، بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَحْزِنُنِي أَنِّي لَا أَرَى
لِي أَسْوَأَ إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عَلَيْهِ فِي التَّفَاقِ، أَوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَذَرَ اللَّهُ مِنَ الضُّعَفَاءِ،
وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ فَقَالَ: وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ «مَا
فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ؟» قَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَبَسَهُ بُرْدَاهُ
وَالنَّظَرُ فِي عَطْفِيهِ، فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: بِئْسَ مَا قُلْتَ، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا
عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ رَأَى رَجُلًا
مُبَيِّصًا يَزُولُ بِهِ السَّرَابُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُنْ أَبَا حَيْثَمَةَ» فَإِذَا هُوَ أَبُو
حَيْثَمَةَ الْأَنْصَارِيِّ، وَهُوَ الَّذِي تَصَدَّقَ بِصَاعِ التَّمْرِ حِينَ لَمَزَهُ الْمُنافِقُونَ، فَقَالَ
كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ: فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ تَوَجَّهَ قَافِلًا مِنْ تَبُوكَ،
حَضَرَنِي بَنِي، فَطَفِئْتُ أَتَذَكَّرُ الْكَذِبَ وَأَقُولُ: بِمِ أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ عَدَا؟
وَأَسْتَعِينُ عَلَى ذَلِكَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي، فَلَمَّا قِيلَ لِي: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
قَدْ أَظَلَّ قَادِمًا، زَاحَ عَنِّي الْبَاطِلُ، حَتَّى عَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَجُودَ مِنْهُ بِشَيْءٍ أَبَدًا،
فَاجْمَعْتُ صِدْقَهُ، وَصَبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَادِمًا، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، بَدَأَ
بِالْمَسْجِدِ فَرَكَعَ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ الْمُحَلِّفُونَ،
فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ، وَيَحْلِفُونَ لَهُ، وَكَانُوا بِضِعَّةٍ وَثَمَانِينَ رَجُلًا، فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ عَلَانِيَتَهُمْ، وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَوَكَّلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ، حَتَّى جِئْتُ،



رياض التائبين

فَلَمَّا سَلَّمْتُ تَبَسَّمْ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ، ثُمَّ قَالَ: «تَعَالَ» فَجِئْتُ أُمَشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي: «مَا خَلَقَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ قَدِ ابْتِغَتْ ظَهْرَكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي، وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، لَرَأَيْتُ أَيْ سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ، لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسَخِطَكَ عَلَيَّ وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صَدَقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ، إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عُقْبَى اللَّهِ، وَاللَّهِ مَا كَانَ لِي عُذْرٌ، وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرُ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا هَذَا، فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ» فَقُمْتُ، وَثَارَ رِجَالُ مَنْ بَنَى سَلَمَةً فَاتَّبَعُونِي، فَقَالُوا لِي: وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَاكَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا، لَقَدْ عَجَزْتَ فِي أَنْ لَا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بِمَا اعْتَذَرَ بِهِ إِلَيْهِ الْمُخَلَّفُونَ، فَقَدْ كَانَ كَافِيكَ ذَنْبَكَ، اسْتَغْفَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَكَ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا زَالُوا يُؤْتُونِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأُكَذِّبُ نَفْسِي، قَالَ ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: هَلْ لَقِيَ هَذَا مَعِيَ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالُوا: نَعَمْ، لَقِيَهُ مَعَكَ رَجُلَانِ، قَالَا مِثْلَ مَا قُلْتَ، فَقِيلَ لَهُمَا مِثْلَ مَا قِيلَ لَكَ، قَالَ قُلْتُ: مَنْ هُمَا؟ قَالُوا: مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعَةِ الْغَامِرِيُّ وَهَلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ، قَالَ: فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قَدْ شَهِدَا بَدْرًا، فِيهِمَا أَسُوءُهُ، قَالَ: فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي، قَالَ وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلَامِنَا، أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ، مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، قَالَ: فَاجْتَبَيْنَا النَّاسَ، وَقَالَ: تَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَتَكَرَّرَ لِي فِي نَفْسِي الْأَرْضُ، فَمَا هِيَ بِالْأَرْضِ الَّتِي أَعْرِفُ، فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكْنَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا بَيْكِيَانِ، وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ وَأَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يَكْلِمُنِي أَحَدٌ، وَآتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَسْلَمَ عَلَيْهِ، وَهُوَ



رياض التائبين

فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: هَلْ حَرَكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلَامِ، أَمْ لَا؟
ثُمَّ أَصْلِي قَرِيبًا مِنْهُ وَأَسَارِقُهُ النَّظَرَ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي نَظَرَ إِلَيَّ وَإِذَا التَّمْتُ
نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا طَالَ ذَلِكَ عَلَيَّ مِنْ جَفْوَةِ الْمُسْلِمِينَ، مَشَيْتُ حَتَّى
تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي، وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَلَّمْتُ
عَلَيْهِ، فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ. فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا قَتَادَةَ أُنْشِدْكَ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمَنَّ
أَنِّي أَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ؟ قَالَ: فَسَكَتَ، فَعُدْتُ فَنَاشَدْتُهُ، فَسَكَتَ، فَعُدْتُ
فَنَاشَدْتُهُ، فَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَقَاصَتْ عَيْنَايَ، وَتَوَلَّيْتُ، حَتَّى تَسَوَّرْتُ
الْجِدَارَ، فَبَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي فِي سُوقِ الْمَدِينَةِ، إِذَا بَطِيئِي مِنْ بَنَاتِ أَهْلِ الشَّامِ، مِمَّنْ
قَدِمَ بِالطَّلَامِ بَيْعُهُ بِالْمَدِينَةِ، يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: فَطَفِقَ
النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ إِلَيَّ، حَتَّى جَاءَنِي فَدَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ عَسَّانَ، وَكُنْتُ
كَاتِبًا، فَفَرَأْتُهُ فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ، وَلَمْ يَجْعَلْكَ
اللَّهُ بِدَارِ هَوَانٍ وَلَا مَضِيعَةٍ، فَالْحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ، قَالَ فَقُلْتُ: حِينَ قَرَأْتَهَا: وَهَذِهِ
أَيْضًا مِنَ الْبَلَاءِ فَتَيَاَمَمْتُ بِهَا التُّورَ فَسَجَرْتُهَا بِهَا، حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ مِنَ
الْخَمْسِينَ، وَاسْتَلَبْتُ الْوَحْيَ، إِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَأْتِينِي، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزَلَ امْرَأَتَكَ، قَالَ: فَقُلْتُ: أُطَلِّقُهَا أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ؟ قَالَ: لَا،
بَلِ اعْتَزِّلْهَا، فَلَا تَقْرُبْهَا، قَالَ: فَأَرْسَلَ إِلَيَّ صَاحِبِي بِمِثْلِ ذَلِكَ، قَالَ: فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي:
الْحَقِّي بِأَهْلِكَ فَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ، قَالَ: فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ
هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هِلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ
صَائِعٌ لَيْسَ لَهُ حَادِمٌ، فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أُحْدِثُ؟ قَالَ: «لَا، وَلَكِنْ لَا يَقْرُبَنَّكَ» فَقَالَتْ:
إِنَّهُ، وَاللَّهِ مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَى شَيْءٍ، وَوَاللَّهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ،
إِلَى يَوْمِهِ هَذَا، قَالَ: فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي: لَوْ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي



رياض التائبين

امْرَأَتِكَ؟ فَقَدْ أَذِنَ لَامْرَأَةٍ هَلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ، قَالَ: فَقُلْتُ: لَا أَسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَمَا يُدْرِيَنِي مَاذَا يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِذَا اسْتَأْذَنَتْهُ فِيهَا، وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ، قَالَ: فَلَبِثْتُ بِذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ، فَكَمَلْتُ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نَهَيْ عَنْ كَلَامِنَا، قَالَ ثُمَّ صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ صَبَاحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَّا، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَى سَلْعٍ يَقُولُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ أَبْشِرْ، قَالَ: فَخَرَزْتُ سَاجِدًا وَعَرَفْتُ أَنَّ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ، قَالَ: فَأَذِنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ بِتُوبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا، حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، فَذَهَبَ قَبْلَ صَاحِبِي مُبَشِّرُونَ، وَرَكَضَ رَجُلٌ إِلَيَّ فَرَسًا، وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ قَبْلِي، وَأَوْفَى الْجَبَلِ، فَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي، فَزَعَرْتُ لَهُ تَوْبِي فَكَسَوْتُهُمَا إِيَّاهُ بِبِشَارَتِهِ، وَاللَّهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ، وَاسْتَعَرْتُ تَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا، فَأَنْطَلَقْتُ أَتَانِمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا، يَهْتَفُونَ بِالتَّوْبَةِ وَيَقُولُونَ:

لِتَهْنِئَكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَحَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ يُهْرُولُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَانِي، وَاللَّهِ مَا قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ، قَالَ فَكَانَ كَعْبٌ لَا يَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ. قَالَ كَعْبُ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ وَيَقُولُ: «أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ» قَالَ فَقُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَقَالَ: «لَا، بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِذَا سَرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ، كَأَنَّ وَجْهَهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، قَالَ: وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ، قَالَ: فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أُخْلَعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةٌ إِلَى



رياض التائبين

اللَّهُ وَإِلَى رَسُولِهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُمْسِكْ بَعْضَ مَالِكَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ» قَالَ: فَقُلْتُ: فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْرٍ، قَالَ: وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا أَتَجَانِي بِالصَّدَقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أُحْدِثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيَتْ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَبْلَاهُ اللَّهُ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ، مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا، أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلَانِي اللَّهُ بِهِ، وَاللَّهُ مَا تَعَمَّدْتُ كَذِبَةً مُنْذُ قُلْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِلَى يَوْمِي هَذَا، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ فِيمَا بَقِيَ، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ، إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ، وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ { حَتَّى بَلَغَ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ } [التوبة: ١١٩]، قَالَ كَعْبٌ: وَاللَّهُ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ، بَعْدَ إِذْ هَدَانِي اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ، أَعْظَمَ فِي نَفْسِي، مِنْ صِدْقِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، أَنْ لَا أَكُونَ كَذَبْتُهُ فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا، إِنَّ اللَّهَ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا، حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ، شَرَّ مَا قَالَ لِأَحَدٍ. وَقَالَ اللَّهُ: {سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِنُعْرِضُوا عَنْهُمْ، فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ، إِنَّهُمْ رَجَسٌ، وَمَا وَهُمْ بِجَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ، يَحْلِفُونَ لَكُمْ لَتَرْضَوْا عَنْهُمْ، فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ } [التوبة: ٩٦]، قَالَ كَعْبٌ: كُنَّا حَلَفْنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ عَنْ أَمْرِ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ قَبْلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ حَلَفُوا لَهُ، فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمْرَنَا حَتَّى قَضَى اللَّهُ فِيهِ، فَبِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَعَلَى



رياض التائبين

الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا، وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ مِمَّا خُلِفْنَا، تَخَلَّفْنَا عَنِ الْعَزْوِ، وَإِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا، وَارْجَاؤُهُ أَمْرَنَا، عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ.^{٧٨}

بيان أن الحدود كفارات لمن أقيمت عليه :

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ شَهِيدَ بَدْرًا وَهُوَ أَحَدُ الثُّقَبَاءِ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: «بَايَعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ، وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلَا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللَّهُ فَهُوَ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ» فَبَايَعْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ.^{٧٩}

^{٧٨} - مسلم ٥٣ - (٢٧٦٩).

^{٧٩} - البخاري (١٨)، ومسلم ٤١ - (١٧٠٩)، وأحمد (٢٢٦٧٨)، والترمذي (١٤٣٩)، والنسائي

(٤١٦١)، وابن ماجه (٢٦٠٣).



رياض التائبين

الفصل التاسع
معوقات التوبة :

إيثار الدنيا على الآخرة :

لقوله تعالى : {فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٣٩) } [النازعات:٣٧-٣٩]

{فَأَمَّا مَنْ طَغَى { أَي: تَمَرَّدَ وَعَتَا، {وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} أَي: قَدَّمَهَا عَلَى أَمْرِ دِينِهِ وَأُخْرَاهُ، {فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى} أَي: فَإِنَّ مَصِيرَهُ إِلَى الْجَحِيمِ وَإِنَّ مَطْعَمَهُ مِنَ الرَّقُومِ، وَمَشْرَبُهُ مِنَ الْحَمِيمِ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقِطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا».^{٨٠}

وعند أحمد ، بلفظ : " يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلٍ "^{٨١}

وَعَنْ ابْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "مَا ذُنْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي عَمٍّ بَافْسَدَ لَهَا ؛ مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ".^{٨٢}

مخالفة النبي ﷺ في منهجه ومتابعته :

لقوله تعالى : { وَيَوْمَ يَعِضُّ الطَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا (٢٩) } [الفرقان:٢٧-٢٩].

^{٨٠} - مسلم ١٨٦ - (١١٨)، والترمذي (٢١٩٥)، وابن حبان (٦٧٠٤).

^{٨١} - رواه أحمد (٨٠٣٠، ١٠٧٧٢).

^{٨٢} - صحيح : رواه أحمد (١٥٧٩٤)، والترمذي (٢٣٧٦)، وابن حبان (٣٢٢٨) وصححه الألباني.



رياض التائبين

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : {وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا} :
يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ نَدَمِ الظَّالِمِ الَّذِي فَارَقَ طَرِيقَ الرَّسُولِ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مِنَ الْحَقِّ
الْمُبِينِ، الَّذِي لَا مَرِيَةَ فِيهِ، وَسَلَكَ طَرِيقًا أُخْرَى غَيْرَ سَبِيلِ الرَّسُولِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ
نَدِمَ حَيْثُ لَا يَنْفَعُهُ النَّدَمُ، وَعَصَّ عَلَى يَدَيْهِ حَسْرَةً وَأَسَفًا.
وقوله تعالى : { فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ (٦٣) } [النور: ٦٣]

الجلس والساحب السوء :

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ: " مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ
وَالسَّوِّءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ، وَإِمَّا أَنْ
تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخِ الْكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا
أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً " .^{٨٣}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ
يُخَالِلُ»^{٨٤}

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ، جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، فَقَالَ: " أَيُّ عَمَّ قُلْ: لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةً أَحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ " فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: أَتَرَعَّبُ عَنْ
مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَغْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيُعِيدَانِهِ بِتِلْكَ الْمَقَالَةِ، حَتَّى قَالَ
أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: قَالَ

^{٨٣} - البخاري (٥٥٣٤)، ومسلم (١٤٦) - (٢٦٢٨)، وأحمد (١٩٦٦٠)، وابن حبان (٥٦١)

^{٨٤} - رواه أحمد (٨٤١٧)، وأبو داود (٤٨٣٣)، وابن ماجه (٢٣٧٨)



رياض التائبين

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَتُكِّمْ عَنْكَ» فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ} [التوبة: ١١٣] وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} [القصص: ٥٦].^{٨٥}

ما جاء من انتفاع الخطاء من مجالسة أهل الذكر :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنْ لِلَّهِ مَلَائِكَةٌ يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ " قَالَ: «فَيَحْفُوفُهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا» قَالَ: " فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ، مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُحَمِّدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ " قَالَ: " فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ " قَالَ: " فَيَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ؟ " قَالَ: " فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ " قَالَ: " يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمَجُّدًا وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا " قَالَ: " يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ " قَالَ: «يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ» قَالَ: " يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ " قَالَ: " يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا " قَالَ: " يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ " قَالَ: " يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّدُونَ؟ " قَالَ: " يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ " قَالَ: " يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ " قَالَ: " يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا " قَالَ: " يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ " قَالَ: " يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً " قَالَ: " فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ عَفَرْتُ لَهُمْ " قَالَ: " يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فَلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ. قَالَ: هُمْ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ " ^{٨٦}.

^{٨٥} - البخاري (٤٧٧٢)، ومسلم ٣٩ - (٢٤).

^{٨٦} - البخاري (٦٤٠٨)، ومسلم ٢٥ - (٢٦٨٩).



رياض التائبين

ولهذا يدلنا النبي ﷺ على مصاحبة الأخيار ، فعن أبي سعيد الخدري ، أنه سمع رسول الله ﷺ ، يقول: " لَا تَصْحَبْ إِلَّا مُؤْمِنًا ، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيًّا " .^{٨٧}

ترك الصلاة أو إضاعتها :

قال تعالى: { فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا (٥٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا (٦٠) جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا (٦١) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (٦٢) تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا (٦٣) وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (٦٤) } [مريم: ٥٩-٦٤]

وعن أبي سعيد الخدري ، يقول: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، يقول: "يَكُونُ خَلْفٌ بَعْدَ سِتِّينَ سَنَةً أَضَاعُوا الصَّلَاةَ ، وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ، فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا " .^{٨٨}

وعن أبي الدرداء ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: "مَا مِنْ ثَلَاثَةِ فِي قَرْيَةٍ وَلَا بَدْوٍ لَا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ إِلَّا قَدْ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ ، فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ ، فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّبُّ الْقَاصِيَةَ " .^{٨٩}

^{٨٧} - رواه أحمد (١١٣٣٧) ، وأبو داود (٤٨٣٢) ، والترمذي (٢٣٩٥) ، وابن حبان (٥٦٠) .

^{٨٨} - رواه أحمد (١١٣٤٠) وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن ، وابن حبان (٧٥٥) ، والحاكم في "

المستدرک " (٣٤١٦) وصححه ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني في " الصحيحة " (٣٠٣٤) .

^{٨٩} - حسن : رواه أحمد (٢٧٥١٤) ، وأبو داود (٥٤٧) ، والنسائي (٨٤٧) وحسنه الألباني وشعيب الأرناؤوط ..



رياض التائبين

تسوية التوبة والاعتذار بطول الأمل :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خَطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا فِي الْوَسْطِ خَارِجًا مِنْهُ، وَخَطَّ خَطًّا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الْوَسْطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الْوَسْطِ، وَقَالَ: " هَذَا الْإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ - أَوْ: قَدْ أَحَاطَ بِهِ - وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجُ أَمَلِهِ، وَهَذِهِ الْخُطُوطُ الصِّغَارُ الْأَعْرَاضُ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا " ٩٠.

وَعَنْ أَنَسٍ، قَالَ: خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خُطُوطًا، فَقَالَ: «هَذَا الْأَمَلُ وَهَذَا أَجَلُهُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَهُ الْخَطُّ الْأَقْرَبُ» ٩١.

مثل النبي ﷺ في حديث ابن مسعود أمل ابن آدم وأجله وأعراض الدنيا التي لا تفارقه بالخطوط، فجعل أجله الخط المحيط، وجعل أمله وأعراضه خارجة من ذلك الخط، ومعلوم في العقول أن ذلك الخط المحيط به الذي هو أجله؛ أقرب إليه من الخطوط الخارجة منه، ألا ترى قوله ﷺ في حديث أنس: " فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَهُ الْخَطُّ

الْأَقْرَبُ " . يريد أجله ؟ وفي هذا تنبيه من النبي ﷺ لأُمته على تقصير الأمل، واستشعار الأجل خوف بغتة الأجل، ومن غيب عنه أجله فهو حري بتوقعه وانتظاره خشية هجومه عليه في حال غرة وغفلة، ونعوذ بالله من ذلك، فَلْيَرِضُ الْمُؤْمِنُ نَفْسَهُ عَلَى اسْتِشْعَارِ بُرْءِهِ عَلَيْهِ، وَيَجَاهِدْ أَمَلَهُ وَهَوَاهُ وَيَسْتَعِينْ بِاللَّهِ عَلَى ذَلِكَ، فَإِنَّ ابْنَ آدَمَ مَجْبُولٌ عَلَى الْأَمَلِ كَمَا قَالَ ﷺ فِي الْبَابِ بَعْدَ هَذَا: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " لَا يَزَالُ قَلْبُ الْكَبِيرِ شَابًّا فِي اثْنَتَيْنِ: فِي حُبِّ الدُّنْيَا وَطُولِ الْأَمَلِ " ٩٢.

٩٠ - البخاري (٦٤١٧)، وأحمد (٣٦٥٢)، والترمذي (٢٤٥٤)، وابن ماجه (٤٢٣١).

٩١ - البخاري (٦٤١٨)، وأحمد (١٢٣٨٧)، والترمذي (٢٣٣٤)، وابن ماجه (٤٢٣٢)، وابن حبان (٢٩٩٨).

٩٢ - البخاري (٦٤٢٠)، ومسلم ١١٣ - (١٠٤٦).



رياض التائبين

وقال الطبري: في قوله: { ذَرُّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ } [الحجر: ٣] ، يعني ذرِ
المشركين يا محمد ﷺ يأكلوا في هذه الدنيا ويتمتعوا من شهواتها ولذاتها إلى أجلهم الذي
أجلت لهم، ويلهمهم الأمل عن الأخذ بطاعة الله فيها، وتزودهم لمعادهم منها بما يقربهم من
ربهم. فسوف يعلمون غدا إذا وردوا عليه، وقد هلكوا بكفرهم بالله حين يعاينون عذاب
الله، أنهم كانوا في تمتعهم بلذات الدنيا في خسارة وتباب^{٩٣}.
وعَنْ وَهْبِ بْنِ مُنْبِهِ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْعِبَادِ لِإِبْنِهِ: «يَا بُنَيَّ، لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو الْآخِرَةَ
بِغَيْرِ عَمَلٍ، وَيُوَخِّرُ التَّوْبَةَ بِطُولِ الْأَمَلِ»^{٩٤}.

عدم الاعتبار بالمواعظ والآيات الكونية والشرعية :

قال تعالى : { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونْ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا
فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٦) } [الحج: ٤٦]
وقال تعالى : { وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا (٧٢) }
[الإسراء: ٧٢]

^{٩٣} - "شرح صحيح البخاري" لابن بطال (١٠/١٥٠-١٥١) ط: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض -

الطبعة الثانية .

^{٩٤} - "كتاب التوبة" لابن أبي الدنيا (٢٨).



رياض التائبين

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ وَهُوَ عَلَى الْمُنْبَرِ: "ارْحَمُوا
تُرْحَمُوا، وَاعْفُوا يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ، وَيَلْ لَأَقْمَاعِ الْقَوْلِ(*)، وَيَلْ لِلْمُصْرِينَ الَّذِينَ يُصِرُّونَ عَلَى
مَا فَعَلُوا(*)، وَهُمْ يَعْلَمُونَ(*)".^{٩٥}

^{٩٥} - (*) الأقماع جمع قُمع ، وهو: الإناء الذي يُجعل في رأس الظرف ليُملاً بالمائع، شَبَّهَ استماع الذين
يستمعون القول ولا يعونه ولا يعملون به بالأقماع التي لا تعي شيئاً مما يُفرغ فيها ، فكأنه يمرُّ عليها مُجتازاً
كما يمر الشراب في القُمع. "فيض القدير" - (ج ١ / ص ٦٠٧).

(*) أَي: على الذنوب ، العازمين على المداومة عليها. فيض القدير (١/ ٦٠٧)

(*) أَي: يَعْلَمُونَ أَنَّ مَنْ تَابَ ، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ ثُمَّ لَا يَسْتَغْفِرُونَ. فتح (١/ ١٦٣)

رواه أحمد (٦٥٤١) ، وانظر "صحيح الجامع" (٨٩٧) ، و"الصَّحِيحَةُ" (٤٨٢) ، و"صحيح التَّزْهِيْبِ
وَالْتَّزْهِيْبِ" (٢٢٥٧).



رياض التائبين

الفصل العاشر

أسباب المغفرة وسقوط العقوبة عن المسيئ :

أورد الإمام ابن تيمية -رحمه الله- أحد عشر سبباً تسقطُ عن فاعل السيئات عذاب جهنم ، أعاذنا الله منها ، بِمَنِّهِ وَعَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ ، وقد وردت في كتاب " الفتاوي " في المجلد السابع (ص: ٤٨٧-٥٠١) ، وقد لخصها الإمام ابن أبي العز الحنفي في " شارح الطحاوية " وهاك قوله : وَأَيْضًا: فَإِنَّهُ قَدْ يُعْفَى لِصَاحِبِ الإِحْسَانِ الْعَظِيمِ مَا لَا يَعْفَى لِغَيْرِهِ ، فإن فاعل السيئات يسقط عنه عُقُوبَةُ جَهَنَّمَ ، بِنَحْوِ عَشْرَةِ أَسْبَابٍ ، عُرِفَتْ بِالِاسْتِثْنَاءِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ:

السَّبَبُ الْأَوَّلُ: التَّوْبَةُ .

لقوله تعالى: { إِلَّا مَنْ تَابَ } [مریم: ٦٠]

وقال تعالى: { إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا } [البقرة: ١٦٠].

والتَّوْبَةُ التَّصُوحُ ، وَهِيَ الْخَالِصَةُ ، لَا يَخْتَصُّ بِهَا ذَنْبٌ دُونَ ذَنْبٍ ، لَكِنْ هَلْ تَتَوَقَّفُ صِحَّتُهَا عَلَى أَنْ تَكُونَ عَامَّةً؟ حَتَّى لَوْ تَابَ مِنْ ذَنْبٍ وَأَصَرَ عَلَى آخَرَ لَا تُقْبَلُ؟ وَالصَّحِيحُ أَنَّهَا تُقْبَلُ. وَهَلْ يَجِبُ الْإِسْلَامُ مَا قَبْلَهُ مِنَ الشِّرْكِ وَغَيْرِهِ مِنَ الذُّنُوبِ وَإِنْ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا؟ أَمْ لَا بُدَّ مَعَ الْإِسْلَامِ مِنَ التَّوْبَةِ مِنْ غَيْرِ الشِّرْكِ؟ حَتَّى لَوْ أَسْلَمَ وَهُوَ مُصِرٌّ عَلَى الزَّنا وَشُرْبِ الْخمر مثلاً، هل يؤخذ بما كَانَ مِنْهُ فِي كُفْرِهِ مِنَ الزَّنا وَشُرْبِ الْخمر؟ أَمْ لَا بُدَّ أَنْ يُتُوبَ مِنْ ذَلِكَ الذَّنْبِ مَعَ إِسْلَامِهِ؟ أَوْ يُتُوبَ تَوْبَةً عَامَّةً مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ؟ وَهَذَا هُوَ الْأَصَحُّ: أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ التَّوْبَةِ مَعَ الْإِسْلَامِ ، وَكَوْنُ التَّوْبَةِ سَبَبًا لِغُفْرَانِ الذُّنُوبِ وَعَدَمِ الْمُوَاخَذَةِ بِهَا - مِمَّا لَا خِلَافَ فِيهِ بَيْنَ الْأُمَّةِ ، وَلَيْسَ شَيْءٌ يَكُونُ سَبَبًا لِغُفْرَانِ جَمِيعِ الذُّنُوبِ إِلَّا التَّوْبَةُ ، قَالَ تَعَالَى: { قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) } [الزمر: ٥٣] وَهَذَا لِمَنْ تَابَ ، وَلِهَذَا قَالَ: { لَا تَقْنَطُوا } وقال بعدها: { وَابْتَئُوا إِلَى رَبِّكُمْ } [الزمر: ٥٤].



رياض التائبين

وأقول : إن من أسباب مغفرة الذنوب جميعاً ، من حج البيت ولم يرفث أو يفسق لقوله ﷺ: «مَنْ حَجَّ لِلَّهِ ، فَلَمْ يَرْفُثْ ، وَلَمْ يَفْسُقْ ، رَجَعَ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ».^{٩٦}

السَّبَبُ الثَّانِي : الاستِغْفَارُ .

قال تعالى: { وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ } (٣٣) [الأنفال : ٣٣].

لَكِنَّ الاستِغْفَارَ تَارَةً يُذَكَّرُ وَحْدَهُ ، وَتَارَةً يُقَرَّنُ بِالتَّوْبَةِ ، فَإِنْ ذُكِرَ وَحْدَهُ دَخَلَ مَعَهُ التَّوْبَةُ ، كَمَا إِذَا ذُكِرَتِ التَّوْبَةُ وَحْدَهَا شَمِلَتْ الاستِغْفَارَ . فَالتَّوْبَةُ تَتَضَمَّنُ الاستِغْفَارَ ، وَالاستِغْفَارُ يَتَضَمَّنُ التَّوْبَةَ ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَدْخُلُ فِي مُسَمًّى الْآخَرِ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ ، وَأَمَّا عِنْدَ اقْتِرَانِ إِحْدَى اللَّفْظَيْنِ بِالْأُخْرَى ، فَالاستِغْفَارُ: طَلَبُ وَقَايَةِ شَرِّ مَا مَضَى ، وَالتَّوْبَةُ: الرَّجُوعُ وَطَلَبُ وَقَايَةِ شَرِّ مَا يَخَافُهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ مِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِهِ . وَنَظِيرُ هَذَا: الْفَقِيرُ وَالْمِسْكِينُ ، إِذَا ذُكِرَ أَحَدُ اللَّفْظَيْنِ شَمِلَ الْآخَرَ ، وَإِذَا ذُكِرَا مَعًا كَانَ لِكُلِّ مِنْهُمَا مَعْنَى .

قال تعالى: { إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ } [المائدة : ٨٩].

{ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا } [المجادلة : ٤].

{ وَإِنْ تُخَفُّوهُا تُؤْثَرُوا الْفُقَرَاءُ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ } [البقرة : ٢٧١].

^{٩٦} - البخاري (١٥٢١)، ومسلم ٤٣٨ - (١٣٥٠)، والترمذي (٨١١)، والنسائي (٢٦٢٧)، وابن

ماحة (٢٨٨٩).



رياض التائبين

لَا خِلَافَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الِاسْمَيْنِ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ لَمَّا أُفْرِدَ شَمِلَ الْمُقِلَّ وَالْمُعْدِمَ، وَلَمَّا فُرِنَ أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ} [التوبة: ٦٠] الآية - كَانَ الْمُرَادُ بِأَحَدِهِمَا الْمُقِلَّ، وَالْآخَرِ الْمُعْدِمَ، عَلَى خِلَافِ فِيهِ. وَكَذَلِكَ: الْإِثْمُ وَالْعُدْوَانُ، وَالْبِرُّ وَالْتَّقْوَى، وَالْفُسُوقُ وَالْعِصْيَانُ. وَيَقْرُبُ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى: الْكُفْرُ وَالنِّفَاقُ، فَإِنَّ الْكُفْرَ أَعْمٌ، فَإِذَا ذُكِرَ الْكُفْرُ شَمِلَ النِّفَاقَ، وَإِنْ ذُكِرَا مَعًا كَانَ لِكُلِّ مِنْهُمَا مَعْنَى. وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ وَالْإِسْلَامُ، عَلَى مَا يَأْتِي الْكَلَامُ فِيهِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

السَّبَبُ الثَّالِثُ : الْحَسَنَاتُ :

فَإِنَّ الْحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَالسَّيِّئَةَ بِمِثْلِهَا، فَالْوَيْلُ لِمَنْ غَلَبَتْ آحَادُهُ عَشْرَاتُهُ. وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ} [هود: ١١٤]. وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا».⁹⁷

السَّبَبُ الرَّابِعُ : الْمَصَائِبُ الدُّنْيَوِيَّةُ .

قَالَ ﷺ: «مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ وَلَا نَصَبٍ، وَلَا غَمٍّ وَلَا هَمٍّ، وَلَا حُزْنٍ، حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ». وَفِي الْمُسْنَدِ: «أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: { مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ } [النساء: ١٢٣]. قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَزَلَتْ قَاصِمَةُ الظَّهْرِ، وَأَيُّهَا لَمْ يَعْمَلْ سُوءًا؟، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، أَلَسْتَ تَنْصُبُ؟، أَلَسْتَ تَحْزَنُ؟،

⁹⁷ حسن : رواه أحمد (٢١٣٥٤)، والترمذي (١٩٨٧)، والدارمي (٢٧٩١)، وحسنه الألباني.



رياض التائبين

أَلَسْتَ يُصِيبُكَ اللّٰوَاءُ؟ ، فَذَلِكَ مَا تُحْزُونَ بِهِ».^{٩٨}
 فَالْمَصَائِبُ نَفْسُهَا، مُكَفِّرَةٌ، وَبِالصَّبْرِ عَلَيْهَا يَتَابُ الْعَبْدُ، وَبِالتَّسَخُّطِ يَأْتُمُ، وَبِالصَّبْرِ
 وَالتَّسَخُّطِ أَمْرٌ آخَرُ غَيْرُ الْمُصِيبَةِ، فَالْمُصِيبَةُ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ لَا مِنْ فِعْلِ الْعَبْدِ ،
 وَهِيَ جَزَاءٌ مِنَ اللَّهِ لِلْعَبْدِ عَلَى ذَنْبِهِ، وَيَكْفِّرُ ذَنْبَهُ بِهَا، وَإِنَّمَا يَتَابُ الْمَرْءُ وَيَأْتُمُ عَلَى فِعْلِهِ،
 وَالصَّبْرُ وَالتَّسَخُّطُ مِنْ فِعْلِهِ، وَإِنْ كَانَ الْأَجْرُ قَدْ يَحْصُلُ بِغَيْرِ عَمَلٍ مِنَ الْعَبْدِ، بَلْ هَدِيَّةٌ مِنَ
 الْغَيْرِ، أَوْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ ، {وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا (٤٠) } [النساء:
 ٤٠]. فَتَفْسُ الْمَرَضِ جَزَاءٌ وَكَفَّارَةٌ لِمَا تَقَدَّمَ.
 وَكَثِيرًا مَا يُفْهِمُ مِنَ الْأَجْرِ عُقْرَانُ الذُّنُوبِ. وَلَيْسَ ذَلِكَ مَدْلُولُهُ، وَإِنَّمَا يَكُونُ مِنْ لَازِمِهِ.

السَّبَبُ الْخَامِسُ: عذاب القبر. وسيأتي الكلامُ عَلَيْهِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

السَّبَبُ السَّادِسُ: دُعَاءُ الْمُؤْمِنِينَ وَاسْتِغْفَارُهُمْ فِي الْحَيَاةِ وَبَعْدَ الْمَمَاتِ.

^{٩٨} - ضعيف : رواه أحمد في " المسند " (٦٨) ، والترمذي (٣٠٣٩) وهو حديث ضعيف، إسناده منقطع. وضعفه الألباني.

وكان الأجدد بالشارح أن يذكر حديث أبي هريرة في المسند (٧٣٨٦) ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: {مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ} (النساء: ١٢٣) شَقَّتْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَبَلَغَتْ مِنْهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَبْلُغَ، فَشَكُّوا ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَارِبُوا وَسَدِّدُوا، فَكُلُّ مَا يُصَابُ بِهِ الْمُسْلِمُ كَفَّارَةٌ، حَتَّى النَّكْبَةِ يُنَكَّبُهَا، وَالسَّوَكَةَ يُشَاكُّهَا» وهو حديث صحيح، رواه مسلم في صحيحه (٢٥٧٤) ، والترمذي (٣٠٣٨) ، ولو رجع الشارح رحمه الله إلى تفسير شيخه ابن كثير في هذه الآية (٢: ٥٨٦ - ٥٩٠) لوجد حديث أبي هريرة، وأحاديث آخر في معناه، بعضها أصح إسناده من حديث أبي بكر.



رياض التائبين

السَّبَبُ السَّابِعُ : مَا يُهْدَى إِلَيْهِ بَعْدَ الْمَوْتِ، مِنْ ثَوَابِ صَدَقَةٍ أَوْ قِرَاءَةٍ أَوْ حَجٍّ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.
وَسَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَى ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

السَّبَبُ الثَّامِنُ : أَهْوَالُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَشِدَائِدُهُ.

السَّبَبُ الثَّاسِعُ : مَا ثَبَتَ فِي "الصَّحِيحَيْنِ" أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا عَبَرُوا الصِّرَاطَ وَقَفُوا عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا هُذِبُوا وَنُقُوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ ..

وأقول : الحديث بلفظه : «يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَطَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُذِبُوا وَنُقُوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَأَحْذَهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ ، مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا».^{٩٩}

السَّبَبُ الْعَاشِرُ : شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ.
كَمَا تَقَدَّمَ عِنْدَ ذِكْرِ الشَّفَاعَةِ وَأَقْسَامِهَا

السَّبَبُ الْحَادِي عَشَرَ : عَفْوُ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ مِنْ غَيْرِ شَفَاعَةٍ.
كَمَا قَالَ تَعَالَى: { وَيَغْفِرْ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } [النساء : ٤٨].
فَإِنْ كَانَ مِمَّنْ لَمْ يَشَأِ اللَّهُ أَنْ يَغْفِرْ لَهُ لِعِظَمِ جُرْمِهِ، فَلَا بُدَّ مِنْ دُخُولِهِ إِلَى الْكَبِيرِ، لِيَخْلَصَ طَيْبُ إِيْمَانِهِ مِنْ حَبَثِ مَعَاصِيهِ، فَلَا يَبْقَى فِي النَّارِ مَنْ فِي قَلْبِهِ أَذْنَى أَذْنَى

^{٩٩} - البخاري(٦٥٣٥)، وأحمد(١١٠٩٥)، وابن حبان(٧٤٣٤) وهو ليس عند مسلم .



رياض التائبين

مِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ، بَلْ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَمَا تَقَدَّمَ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ .

وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، امْتَنَعَ الْقَطْعُ لِأَحَدٍ مُعَيَّنٍ مِنَ الْأُمَّةِ، غَيْرَ مَنْ شَهِدَ لَهُ
الرَّسُولُ ﷺ بِالْجَنَّةِ، وَلَكِنْ نَرْجُو لِلْمُحْسِنِينَ، وَنَخَافُ عَلَيْهِمْ.



رياض التائبين

الفصل الحادي عشر

عاقبة المعاصي والسيئات على الأفراد والمجتمعات :

قال تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ يُجْبُونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١٩) } [النور: ١٩]

وقال تعالى : { أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٢١) } [الجنابة: ٢١]

وقوله تعالى: { وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٥) } [الأنفال: ٢٥]

وعن أبي هريرة، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "كُلُّ أُمَّتِي مُعَاذِي إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهِرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ

١٠٠."

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ: « إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةً سَوْدَاءَ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَتَزَعَّ وَاسْتَغْفَرَ، صُقِلَ قَلْبُهُ ، فَإِنْ زَادَ زَادَتْ، فَذَلِكَ الزَّائِرُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: { كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) } [المطففين: ١٤] . ١٠١

١٠٠ - البخاري(٦٠٦٩) ، ومسلم ٥٢ - (٢٩٩٠).

١٠١ - حسن :رواه أحمد في " المسند(٧٩٥٢)، وابن ماجه(٤٢٤٤)، وابن حبان (٤٢٤٤)، (٢٧٨٧).



رياض التائبين

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الدُّنُوبِ ، فَإِنَّ مَثَلَ مُحَقَّرَاتِ الدُّنُوبِ ، كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا بَطْنٍ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بُعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بُعُودٍ ، حَتَّى اتَّجُّوا خُبْرًا لَهُمْ ، إِنَّ مُحَقَّرَاتِ الدُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذَ بِهَا صَاحِبُهَا يَهْلِكُ». ١٠٢

وَعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ: "يَا عَائِشَةُ، إِيَّاكِ وَمُحَقَّرَاتِ الدُّنُوبِ، فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ طَلَبًا". ١٠٣

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ} [آل عمران: ١٠٢] ، قَالَ: أَنَّ يُطَاعَ، فَلَا يُعَصَى، وَيُذَكَّرُ، فَلَا يُنْسَى، وَأَنْ يُشْكَرَ، فَلَا يُكْفَرُ. وَخَرَجَهُ الْحَاكِمُ مَرْفُوعًا وَالْمَوْثُوفُ أَصَحُّ، وَشُكْرُهُ يَدْخُلُ فِيهِ جَمِيعُ فِعْلِ الطَّاعَاتِ. وَمَعْنَى ذِكْرِهِ فَلَا يُنْسَى: ذَكَرَ الْعَبْدُ بِقَلْبِهِ لِأَوَامِرِ اللَّهِ فِي حَرَكَاتِهِ وَسَكَاتِهِ وَكَلِمَاتِهِ فَيَمْتَثِلُهَا، وَلِتَوَاهِيهِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ فَيَجْتَنِبُهَا.

وَقَدْ يَغْلِبُ اسْتِعْمَالُ التَّقْوَى عَلَى اجْتِنَابِ الْمُحَرَّمَاتِ، كَمَا قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَسُئِلَ عَنْ التَّقْوَى، فَقَالَ: هَلْ أَخَذْتَ طَرِيقًا ذَا شَوْكٍ؟ ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَكَيْفَ صَنَعْتَ؟ ، قَالَ: إِذَا رَأَيْتُ الشَّوْكَ عَدَلْتُ عَنْهُ، أَوْ جَاوَزْتُهُ، أَوْ قَصَرْتُ عَنْهُ، قَالَ: ذَاكَ التَّقْوَى.

١٠٢ - رواه أحمد في "المسند" (٢٢٨٠٨)

المحققات: بفتح القاف المشددة الصغائر: ونقل المناوي عن العلائي: أن مقصود الحديث الحث على عدم التهاون بالصغائر ومحاسبة النفس عليها، وعدم الغفلة عنها، فإن في إهمالها إهلاكه، بل ربما تغلب الغفلة على الإنسان، فيفرح بالصغيرة، ويتبجح بها، ويعد التمكن منها نعمة غافلا عن كونها وإن صغرت سببا للشقاوة حتى إن من المذنبين من يتمدح بذنبه لشدة فرحه بمقارفته فيقول: أما رأيته كيف مزقت عرضه، ويقول المناظر: أما رأيته كيف فضحته وذكرت مساوئه حتى أحجلته، وكيف استخففت به وحقرتة، ويقول التاجر: أما رأيته كيف روجت عليه الزائف، وكيف خدعته وغبنته، وذلك وأمثاله من المهلكات.

١٠٣ - رواه أحمد (٢٤٤١٥)، وابن ماجه (٤٢٤٣)، وابن حبان (٥٥٦٨).



رياض التائبين

وأخذ هذا المعنى ابنُ المعتز فقال :

وَكَبِيرَهَا فَهُوَ التَّائِبُ	...	خَلَّ الذُّنُوبَ صَغِيرَهَا
الشَّوْكَ يَحْدُرُ مَا يَرَى	...	وَاصْنَعْ كَمَا شِ فَوْقَ أَرْضِ
إِنَّ الْجِبَالَ مِنَ الْحَصَى. ^{١٠٤}	...	لَا تَحْفَرَنَّ صَغِيرَةً

وَعَنْ ثَوْبَانَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، أَنَّهُ قَالَ: "لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا"، قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: "أَمَّا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا".^{١٠٥}

وَعَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ، دَخَلَ عَلَيْهَا فَرَعًا يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُنِخَ الْيَوْمَ مِنْ رَذَمٍ يَأْجُوجَ، وَمَأْجُوجَ مِثْلَ هَذَا، وَحَلَقَ بِأُصْبَعِهِ، وَبِالَّتِي تَلِيهَا» فَقَالَتْ زَيْنَبُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْهَكَ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْحَبْتُ».^{١٠٦}

^{١٠٤} - " جامع العلوم والحكم " (١/٤٠٠-٤٠١) المحقق: شعيب الأرنؤوط - إبراهيم باجس

- ط : مؤسسة الرسالة- بيروت .

^{١٠٥} - رواد ابن ماجة (٤٢٤٥) وصححه الألباني، وحسنه شعيب الأرنؤوط.

^{١٠٦} - البخاري(٣٥٩٨) ، ومسلم ١ - (٢٨٨٠)، وأحمد(٢٧٤١٣)، والترمذي(٢١٨٧)، وابن

ماجة(٣٩٥٣).



رياض التائبين

وَعَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ : " يَكُونُ فِي آخِرِ الْأُمَّةِ حَسْفٌ وَمَسْحٌ وَقَذْفٌ (*) " ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَتَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ ؟ ، قَالَ: " نَعَمْ ، إِذَا ظَهَرَ الْخَبْثُ (*) " ١٠٧

وقد يكون ارتكاب المحرمات الفعلية مانعاً من الإجابة- استجابة الدعاء - ، ولهذا قال بعض السلف لا تستبطئ الإجابة وقد سددت طريقاً بالمعاصي ، وأخذ هذا بعض الشعراء ، فقال:

نَحْنُ نَدْعُو إِلَهَ فِي كُلِّ كَرْبٍ ... ثُمَّ نُنْسَاهُ عِنْدَ كَشْفِ الْكَرُوبِ
كَيْفَ تَرْجُو إِجَابَةً لِدَعَاءٍ ... قَدْ سَدَدْنَا طَرِيقَهَا بِالذُّنُوبِ. ١٠٨

وعن شقيق بن إبراهيم ، مَرَّ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ فِي أَسْوَاقِ الْبَصْرَةِ فَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ ، فَقَالُوا لَهُ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [غافر: ٦٠]. وَنَحْنُ نَدْعُوهُ مُنْذُ دَهْرٍ فَلَا يَسْتَجِيبُ لَنَا ، قَالَ: فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: " يَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ مَا تَتَّ فُلُوبُكُمْ فِي عَشْرَةِ أَشْيَاءَ:
أَوَّلُهَا: عَرَفْتُمُ اللَّهَ وَلَمْ تُؤَدُّوا حَقَّهُ.
وَالثَّانِي: قَرَأْتُمْ كِتَابَ اللَّهِ وَلَمْ تَعْمَلُوا بِهِ.
وَالثَّالِثُ: ادَّعَيْتُمُ حُبَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَرَكْتُمُ سُنَّتَهُ.
وَالرَّابِعُ: ادَّعَيْتُمُ عَدَاوَةَ الشَّيْطَانِ وَوَأَفْقَنْتُمُوهُ.
وَالْخَامِسُ: قُلْتُمْ نَحِبُ الْجَنَّةِ وَلَمْ تَعْمَلُوا لَهَا.

١٠٧ - (القذف): رمي بالحجارة من جهة السماء. فيض القدير (ج ٤ / ص ٦٠٤)

(٢) أي: المعاصي والشُّرُورُ وأهلها ، قَالَ تَعَالَى {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ

خَاصَّةً}. حاشية السندي على ابن ماجه - (ج ٧ / ص ٣٢٣)

رواه الترمذي (٢١٨٥)، وابن ماجه (٤٠٦٠).

١٠٨ - " جامع العلوم والحكم " (ص: ٢٧٧).



رياض التائبين

وَالسَّادِسُ: قُلْتُمْ نَخَافُ النَّارَ وَرَهْنَتْكُمْ أَنْفُسُكُمْ بِهَا.
وَالسَّابِعُ: قُلْتُمْ إِنَّ الْمَوْتَ حَقٌّ وَلَمْ تَسْتَعِدُّوا لَهُ.
وَالثَّامِنُ: اسْتَعْلَمْتُمْ بَعُيُوبَ إِخْوَانِكُمْ وَبَدَأْتُمْ عُيُوبَكُمْ.
وَالْتَّاسِعُ: أَكَلْتُمْ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ وَلَمْ تَشْكُرُوهَا.
وَالْعَاشِرُ: دَفَنْتُمْ مَوْتَكُمْ وَلَمْ تَعْتَبِرُوا بِهِمْ".^{١٠٩}

أسأل الله وتبارك تعالى أن ينفعي به وكل من قرأه ، أو أعان على نشره
ومراجعته ، ويجعلني وإياكم من التائبين الصادقين في الدنيا والآخرة
وصل اللهم وسلم علي عبدك ورسولك محمد نبي التوبة وسيد ولد آدم ،
وعلى آله الكرام أجمعين ، ورضي الله عن جميع أصحابه المتقين.
تم بحمد الله وتوفيقه
الباحث في القرآن والسنة
أخوكم في /صلاح عامر

^{١٠٩} - هذه القصة كما هي أخرجها أبو نعيم في " حلية الأولياء" فقال: حَدَّثَنَا أَبُو حَامِدٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ
بْنِ الْحُسَيْنِ الْمَعَاوِرِيُّ ، ثنا أَبُو عَلِيٍّ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ يَعْقُوبَ التَّاجِرُ ثنا أَبُو يَاسِرٍ عَمَّارُ بْنُ عَبْدِ الْمَجِيدِ
، ثنا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْجَوْبَارِيُّ ، قَالَ: سَمِعْتُ حَاتِمًا الْأَصَمَّ، يَقُولُ: قَالَ شَقِيقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ: مَرَّ إِبْرَاهِيمُ بْنُ
أَذْهَمَ فِي أَسْوَاقِ الْبَصْرَةِ إلخ. وذكرها القرطبي في " التفسير " والغزالي في " الإحياء".

